

الباب الاول

أوضاع أهل السنة في الهند

في الفترة من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) حتى القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي).

الفصل الاول: انتشار الإسلام في الهند وعوامله وآثاره.

الفصل الثاني: الحياة السياسية لأهل السنة في الهند.

الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية والأقتصادية لأهل السنة في الهند.

الفصل الرابع: الحياة الفكرية أهل السنة في الهند.

obeyikan.com

الفصل الأول
انتشار الإسلام في الهند عوامله وآثاره

obeyikan.com

انتشر الإسلام في الهند عن طريق عدة محاور رئيسية:

المحور الأول: التحرك البرى الذى نشر الإسلام في سهول شمال الهند عن طريق الفتوحات الإسلامية، وهو يكاد يقتصر على سهول شمال الهند، دون أن ينجح في تجاوزها إلا في فترات قليلة.

المحور الثانى: طريق التجارة سواء الطريق البرى عبر سهول تركستان، أو الطريق البحرى والتجارة القادمة عبر الخليج الفارسى أو البحر الأحمر⁽¹⁾.

المحور الثالث: جهود الدعاة من العلماء والفقهاء والوعاظ والمتصوفة⁽²⁾.

فقد توافد الدعاة المسلمون إلى السند منذ الفتح الإسلامى لها، كما قدم إليها أعداداً من الصحابة والتابعين والعلماء قاموا بحركة علمية واسعة، كما عملوا على نشر الإسلام بها، وأصبحت مدرسة السند العربية مركزاً لنشر الإسلام في الهند⁽³⁾، وكان الدعاة والقضاة والعلماء يقيمون في بيوت مميزة قريبة من مقر الحكام، فكانوا يرافقوهم في مواكبهم ومجالسهم، ويتميزون في عاداتهم وتقاليدهم، ويعرفون بزيمهم العربى وعممهم الكبيرة⁽⁴⁾، فلم يكن الفتح الإسلامى للبلاد فتحاً سياسياً فحسب، بل كان هدفاً لنشر الدعوة الإسلامية،

(1) صلاح الدين الشامى، زين الدين عبد المقصود: جغرافية العالم الإسلامى، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1982، ص 86، 85.

(2) عصام الدين عبد الرؤوف الفقى: بلاد الهند في العصر الإسلامى، منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيمورى، القاهرة، عالم الكتب، 1980م، ص 30.

(3) رجب عبد الحليم: انتشار الإسلام في فارس وأفغانستان والسند وباكستان وآسيا الوسطى والصغرى وبين المغول، بحث في الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامى، مج 1 انتشار الإسلام، المملكة العربية السعودية، 1412هـ/1992م، ص 16.

(4) عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في باكستان أو السند والبنجاب إلى آخر الحكم العربى، القاهرة، دار العدالة للنشر، 1991، ص 178.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

وكان الفاتحون يصطحبون معهم الدعاة والعلماء في حملاتهم، وقد تبع ذلك دخول كثير من أهالي البلاد المفتوحة في الإسلام⁽¹⁾.

ومن العوامل الهامة لزيادة نسبة المسلمين في الهند كثرة معدل المواليد، وذلك طبقاً لعاداتهم الاجتماعية الأكثر ملائمة لكثرة المواليد من عادات الهندوس، فقيود الزواج عندهم أقل، وكثيراً ما تتزوج أراملهم⁽²⁾، كما أن المسلمين إذا تبنا أطفالاً هنوداً يربوهم على الإسلام، ويكون ذلك في فترات القحط حيث يهجر الآباء أسرهم، أو في حالة موت الأب، فيدخلون في حماية المسلمين، وذلك مجرى مستمر، ولو أنه صغير، إلا إنه يزيد من عدد الذين يتحولون إلى الإسلام من الهنود⁽³⁾.

وقد جذبت عظمة الإسلام وسماحة تعاليمه كثير من الهنود للدخول فيه، فمن أهم ما أدخله الإسلام إلى الهند الوثنية عقيدة التوحيد والعدالة الاجتماعية والحرية وتتضمن حرية العقيدة، فلإنسان أن يعتقد ما شاء من الأديان السماوية متى دفع الجزية، وقد أوجب الإسلام الدعوة بالحسنى للإسلام، كما كفل حرية الفكر وصان كرامة الإنسان⁽⁴⁾، وقد جذبت هذه التعاليم بعض الهنود للتعرف على الإسلام والدخول فيه طواعية، كما حدث من إسلام ملك الراء في عهد الأمير عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الهباري صاحب المنصورة سنة 270هـ / 883م⁽⁵⁾.

(1) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج 1، ط 10، النهضة المصرية، 1984، ص 353.

(2) إسلام: دائرة المعارف الإسلامية أصدرها بالإنجليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم، النسخة العربية إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوى، عبد الحميد يونس، مج 3، الشعب، ص 343.

(3) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، عربي حسن إبراهيم حسن وعبد الحميد عابدين وإسماعيل النحراوى، النهضة المصرية، 1974، ص 247.

(4) إبراهيم سيف الدين: العدالة الاجتماعية في الإسلام، الدراسات الإسلامية، إسلام آباد، ربيع الأول 1390هـ / يونية 1970، مج 5، ع 2، ص ص 33:36.

(5) بزرك بن شهریار: عجائب الهند، بيروت، دار صادر، (د. ت)، ص ص 2:4.

أهم عوامل انتشار الإسلام في الهند:

1. دور الحكومات الإسلامية في انتشار الإسلام في الهند:

من أهم عوامل انتشار الإسلام في الهند ما قامت به الحكومات الإسلامية من الدعوة للإسلام بالحسنى، وتخطيط مدن إسلامية كالمحافظة والمنصورة، لتكون أساساً للتجمع العربى، ومراكزاً لنشر الإسلام في الهند، وقد أقرت وضع الهندوس كمعاهدين من أهل الذمة، وأمّنتهم على أرواحهم وممتلكاتهم، وأعطتهم الحرية الدينية، كما أبقت على طبقة الموظفين من الهنود في وظائفهم؛ مما أدى إلى انجذاب الطبقات البيروقراطية في الهند للإسلام⁽¹⁾.

ومن الأمثلة على دعوة الحكام المسلمين للإسلام بالحسنى في الهند، ما قام به الخليفة عمر بن عبد العزيز من الكتابة إلى ملوك الهند يدعوهم للإسلام والطاعة على أن يملكهم ما تحت أيديهم، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، فأسلم كثير من الملوك ومنهم حليشة بن داهر وتسموا بأسماء العرب⁽²⁾.

وكان للخلفاء العباسيين وخاصة في العصر العباسى الأول دوراً كبيراً في نشر الإسلام، فكان أكبرهم العباسيين المحافظة على التراث الذى ورثوه من الأمويين، وإن لم ينجحوا كثيراً في إضافة أقطار جديدة للدولة الإسلامية، إلا أن الخلفاء العباسيين وجهوا اهتماماً أكبر من الأمويين للدعوة للإسلام، فباستثناء عمر بن عبد العزيز كان نشر الدعوة في العهد الأموى عمل قواد وعلماء وأفراد متدينين أكثر منه عمل حكومة، ولم يكن للخلفاء الأمويين مظهراً دينياً، أما الخلفاء العباسيون فقد صبغوا حكمهم بصبغة دينية ظاهرة، وظهروا كحماة للدين الإسلامى، ولذلك عندما ضعف نفوذ العباسيين السياسى ظل سلطانهم الدينى على العالم

(1) حسن أحمد محمود: الحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى، دار النهضة العربية، 1968م، ص ص 191:200.

(2) البلاذرى: فتوح البلدان، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وعمر و أحمد عطوة، إسكندرية، دار ابن خلدون، د. ت، ص 457.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

الإسلامي، وهذه الصبغة الدينية للخلفاء العباسيين جعلتهم يشرفون على الدين من النواحي المختلفة، ويتدخلون في المسائل الدينية أكثر من الأمويين، وكان من أثر ذلك نشاط الخلفاء العباسيين في الدعوة إلى الإسلام، ولذا أقبل كثير من أهل الملل الأخرى على الدخول في الدين الإسلامي أفواجا⁽¹⁾.

ومن أبرز جهود الخلفاء العباسيين في الدعوة السلمية للإسلام توجيه الخليفة العباسي المهدي رسلاً إلى خمسة عشر ملكاً ومنهم ملوك السند والهند يدعوهم للإسلام، فدخل كثير منهم في طاعته، وكان منهم من ملوك السند "الراي" ومن ملوك الهند "ابراج" و"هوفور"⁽²⁾.

ومما ساعد على انتشار الإسلام بالسند سياسة الحكام المسلمين في الإبقاء على النظم المالية والمحلية، وإبقاء الموظفين الهنود في وظائفهم، والاستعانة بهم لقلة خبرة العرب بالنظم الإدارية والمالية⁽³⁾، فمن أهم أسباب نجاح سياسة محمد بن القاسم في السند أنه أوكل الأمور الإدارية والمالية للهنود، فكانت سياسة الحكم العربي خيراً مما جرت به التقاليد المحلية، وتمكن الهنود من الترقى في السلم الوظيفي طبقاً للكفاءة وليس للطبقة⁽⁴⁾.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك قبله بن مهترائج الذي كان مشرفاً على سجن الديبل الذي سجن فيه الملك داهر التجار والنساء المسلمات اللاتي خطفن، ورفض ردهم للحجاج، ورغم كون قبله من البراهمة إلا أنه كان يحسن معاملة المسجونين العرب، وعندما فتح محمد بن القاسم السند كان من ضمن الأسرى، وقد أسلم وحسن إسلامه، فأوكل إليه محمد بن القاسم شؤون مدينة الديبل الاقتصادية، وقد كان يحسن العربية لذا اختاره محمد بن القاسم

(1) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج1، ص354، 356.

(2) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب (توفي بعد سنة 292هـ): تاريخ يعقوبى، ج3، نجف، مطبعة الغرى، 1358هـ، ص130، 131.

(3) H.M.Elliot, John Dowson; The History of India by its own historians, The Muhammadan period, London, 1867, p.460.

(4) عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1410هـ/1990، ص76.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

مترجماً لرئيس الوفد العربي المعروف "بالشامي" الموجه إلى الملك داهر بشأن مفاوضات عبور نهر السند⁽¹⁾.

وقد انضم بعض أهالي السند للجيش الإسلامي، وساهموا في الفتح الإسلامي، فانضم أربعة آلاف من الزط لمحمد بن القاسم بعد صلحه مع أهل سدوسا، كما انضم إلى الجيش الإسلامي من خارج أرض السند الأساورة والزط والسيابجة ممن كانوا في الجيش الفارسي، وفُرض لهم العطاء⁽²⁾، وقد ساعد ظهور الدويلات الإسلامية المستقلة في الهند على زيادة مساهمة أهل السند سواء في الجيش أو الإدارة، ونتج عن ذلك زيادة إقبال أهالي السند على الإسلام، وزيادة التحامهم مع المسلمين⁽³⁾.

واستخدم الغزنويون الهنود على نطاق واسع في وظائف الدولة، ولا شك أن الأتراك احتكروا المناصب الكبرى، ولكن استطاع الهنود الوصول إلى المناصب العليا مثل مناصب الكتابة والوزارة وغيرها، كما اعتمدت الحكومة الغزنوية في السلم الوظيفي على أغلبية هندية واضحة، حتى اصطبغت الدولة الغزنوية التركية بالصبغة الهندية⁽⁴⁾، وذلك بالإضافة إلى الأمراء والحكام الهنود الذين حكموا بلادهم مقابل دفع الجزية للدولة الإسلامية، وظل ذلك الوضع حتى منتصف القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي⁽⁵⁾.

ومن أبرز الهنود الذين ترقوا في السلم الوظيفي للدولة الغزنوية حتى وصلوا لأرفع المناصب "تلك الهندي"، وكان تلك ابن حجام، لكنه كان لبقاً جميل الطلعة فصيح اللسان، مجيداً للكتابة بالهندية والفارسية، تلقى تعليمه في كشمير ومنها عرف قليلاً من السحر والمكر،

(1) Fathnama I-Sind, published by Institute of Islamic History, Culture and Civilization, Firist Edition, Islamabad, Pakistan, p. 108, 109

- عبد الله مبشر الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج 1، ط 1، جدة، عالم المعرفة، 1983، ص 468، 469.

(2) البلاذري: فتوح البلدان، ص 391، 454.

(3) رجب عبد الحليم: إنتشار الإسلام...، ص 154، 155.

(4) حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى، ص 234.

(5) عبد الله الحسين: المسألة الهندية، مطبعة التوكل، مصر، 1945، ص 110.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

ثم عمل في خدمة قاضى شيراز أبى الحسن فحصل على بعض المال وعلت منزلته، واستطاع بالحيل أن يصبح من خاصة معتمدى الوزير أحمد حسن، وقد جعله كاتباً ومترجماً فيما يخص الهنود، وكان يقوم بعمله على خير وجه، فارتفع شأنه، وبعد عزل الوزير تقدم لدى السلطان محمود، وخاصة مع أدائه لخدمات جليلة للسلطان، فقد أدخل في طاعته جميع هنود كتور وبعض البيرونيين، ونجح في نشر الإسلام بينهم، وعندما تولى السلطان مسعود عطف على تلك وخلع عليه فذاع صيته، فعمل لنفسه سرادقاً صغيراً ومظلة، وكانوا يدقون له الطبول عند مسيره كعظماء الهنود، وكان يجلس مع الأعيان في تدبير الأمور، حتى تطوع لإنهاء فتنة أحمد ينالتكين، ونجح في ذلك فعلى نجمه⁽¹⁾، وتولى منصب نائب السلطان في الهند الذى كانت له القيادة العسكرية بها، وعلى ذلك فقد وصل الهنود في الدولة الغزنوية لتولى المناصب العسكرية الكبرى، وكان الطريق مفتوحاً للمجتهدين لتولى أعلى المناصب.

وقد استخدم الغزنويون الهنود في الجيش، وفرضوا لهم العطاء، ووثقوا بهم وعاملوهم نفس معاملة الجند الترك، وغدت القوات الهندية تؤلف نحو نصف جيش مسعود، وكان ذلك خطوة هامة في طريق الالتحام بين الهنود والإسلام، بل لقد حاربت القوات الهندية خارج أرضها للقضاء على فتن في الدولة الغزنوية⁽²⁾.

ومن الهنود من وصل لمنصب الوزارة كالشيخ الجليل الخواجه أبى القاسم أحمد بن الحسن الميمندى -نسبة إلى قرية ميمند في الهند- وقد ولى الوزارة للسلطان محمود ولابنه السلطان مسعود، كما عمل ابنه عبد الرزاق كاتباً للسلطان مسعود، ورافقه في كثير من غزواته⁽³⁾، ورغم ذلك فلم يأمن الكثيرون من الاعتماد الكامل على الهنود، فعندما عزم السلطان مسعود على نقل ملكه إلى الهند هرباً من الخطر السلجوقى، نصحه وزيره بأنه "لا

(1) البيهقى: تاريخ البيهقى، ترجمه إلى العربية يحيى الخشاب وصادق نشأت، بيروت، دار النهضة العربية، 1982، ص 430:432.

(2) حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى، ص 216.

(3) سامية مصطفى محمد: دور سلاطين غزنة فى نشر الإسلام فى الهند، المؤرخ المصرى، كلية الآداب قسم التاريخ جامعة القاهرة، ع 15، يوليو 1995، ص 175.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

يجوز الاعتماد على الهنود، وليس من الحكمة نقل الحريم وكل هذه الخزائن والأموال إلى بلادهم، لأننا لم نكن يوماً محسنين إليهم⁽¹⁾".

وأقام السلطان محمد الغوري حكمه في الهند على أساس مختلف عما قامت عليه الدولة الغزنوية في الهند من الاعتماد على الهندوس في الوظائف والجيش، فقد أبطل محمد الغوري هذه العادة، وجعل الاعتماد على الجند من الأفغان والترك والفرس الذين كانوا يشتعلون غيرة على الدين⁽²⁾. وقد كان بداية الفتح الغوري بداية استقرار الحكومة الإسلامية في الهند، وبجهودهم بدأ الإسلام في الانتشار في الهند على نطاق واسع⁽³⁾.

2. دور الفرق الإسلامية في نشر الإسلام في الهند :

ومن أهم عوامل انتشار الإسلام في الهند نشاط الخوارج بها، والذي يرجع إلى ما قبل الفتح الإسلامي لها، فقد ذكر فتحنامه سند أن الأخوين العلافيين محمد ومعوية ابني الحارث قتلا حاكم مكران سعيد بن أسلم الكلابي نحو سنة 85هـ/704م، وغلبا على الثغر، أي أنها حكما الجبهة الشرقية كلها، والتي تضمنت مكران وقنديل⁽⁴⁾، وهربا إلى السند قبل وصول القائد الجديد الذي عينه الحجاج، وهو مجاعة بن سعد التميمي الذي طاردهما، فالتحقا بخدمة داهر بن شاس⁽⁵⁾، ونصراه في بعض حروبه حتى صارا من أصحاب الحظوة لديه، ولذلك سأل الحجاج الخليفة أن يأذن له بمهاجمة السند، ولكنه لم يؤذن له، وقد كان ذلك من أهم أسباب حملة محمد بن القاسم على السند⁽⁶⁾، وقد انضم العلافيون إلى داهر في حربه

(1) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص728.

(2) محمد حبيب أحمد: بين الهند والباكستان، القاهرة، مطبعة فكرة، 1950، ص49.

(3) أحمد محمود الساداتي: أفغانستان منذ الفتح الإسلامي، ص39.

(4) قنديل مدينة بالسند، قصبه لولاية الندهه، وتسمى اليوم كنداوه، تقع مديرية في منطقة قلات. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج4، بيروت، دار صادر، 1984م، ص402. أظهر المباركوري: رجال السند والهند حتى القرن السابع الهجري، ط1، مطبعة دار الأنصار، 1398هـ، ص37.

(5) Fathnamah-I Sind, p.47,48.

29أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج8: الإسلام والدول الإسلامية غير العربية بآسيا من مطلع الإسلام حتى الآن، ط3، النهضة المصرية، 1993، ص263. جمال الدين الرمادي: الإسلام في المشارق والمغرب، مطابع الشعب، 1960، ص47.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

لمحمد بن القاسم، فحارباً معه في موقعة راور سنة 92هـ/710م التي قتل فيها داهر، وانضم بعد ذلك محمد العلافى للأمير جيسيه ولى العهد في أرور ثم في برهماناباد، وبعد الهزيمة لجأ العلافيون إلى بلاد كشمير حيث أكرمهم ملكها، وظل العلافيون بها وأختلط نسلهم بالكشميريين⁽¹⁾، وحينما كان محمد العلافى مع داهر عمل على نشر الإسلام في الأقاليم المجاورة، وبعد الفتح الإسلامى وعفو محمد القاسم عنه عينه كسفير للمسلمين في كشمير، وعمل على نشر الإسلام وبناء المساجد هناك، وهذا أول ذكر عن دخول الإسلام كشمير أثناء الربع الأول من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادى، وبعد عزل محمد بن القاسم واصل محمد العلافى جهوده في نشر الإسلام في كشمير حتى وفاته⁽²⁾.

ولم نسمع عن أى نشاط للخوارج في السند في العصر الأموى، حتى كانت خلافة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، وقد اشتدت فتنة الخوارج ضده عام 128هـ/745م، وبويع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر في الكوفة، وكان منصور بن جمهور الكلبى من القواد المساعدين له، وكان يعمل مع الخوارج أيضاً في السر، وبعد هزيمة عبد الله بن معاوية هرب منصور بن جمهور إلى السند، واستطاع الاستيلاء على الحكم بها، وأقام في المنصورة وحكم البلاد ست سنوات، وتعتبر هذه هى الحكومة الثانية المؤقتة للخوارج في السند، وظل بها حتى قتل سنة 134هـ/751م على يد الوالى العباسى موسى بن كعب التميمى، وفي عهده كانت السند ملجأ للخوارج الفارين من محاربة الأمويين لهم، ففى سنة 129هـ/746م لجأ رفاعة بن ثابت الخارجى إلى منصور بن جمهور بعد فتنة الخوارج بالشام، وقد أحسن منصور استقباله وعينه نائباً لأخيه منظور حاكم المنطقة الغربية للسند، ولكنه ما لبث أن قام بانقلاب ضده منتهزاً فرصة غيابه عن العاصمة، ولكن منصور عاد سريعاً وهزمه وقتله⁽³⁾.

(1) عبد الله مبشر الطرازى: موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، ج1، ص375.

(2) Fathnamah-I Sind; p. 118, 119.

(3) اليعقوبى، أحمد بن ابى يعقوب بن جعفر الكاتب: تاريخ اليعقوبى، ج3، مطبعة الغرى، النجف، 1358هـ، ذص78.

وقد ضعف نفوذ الخوارج بعد قيام الدولة العباسية، فضعف الخوارج بعد معاركهم الدامية مع الدولة الأموية، واستطاع العباسيون أن يقضوا على بقية مراكزهم العسكرية بسهولة وسرعة لعلمهم بأسرارهم، فقد اشترك العباسيون والخوارج في العمل ضد الدولة الأموية. ورغم ذلك ظل بعض الخوارج يواصلون جهودهم في نشر مذهبهم وتحقيق أغراضهم، وكان بعض خوارج عمان يأتون إلى السند لبعدها عن نفوذ العباسيين، وحاولوا الدعوة فيها لآرائهم، ففي سنة 142هـ/759م قدم حسان بن مجاهد الهمداني الخارجي من الرقة إلى السند عن طريق البحر، وقام بجولة واسعة في البلاد ينشر دعوته لعله يجد أنصاراً ليكون منهم جيشاً لمحاربة العباسيين، ولكن الوالي العباسي عمر بن حفص لم يعطه الفرصة لذلك، فاضطر حسان للعودة إلى الموصل، ولا نجد بعد ذلك ذكراً للخوارج في بلاد السند⁽¹⁾، وبذلك لم تشهد السند إقامة دولة مستقلة للخوارج تدين بمذهبها، وكانت كل جهودهم محاولات قام بها بعض الخارجين على سلطان الدولة سواء الأموية أو العباسية للاستقلال، ولكن لم يكتب لأى من هذه المحاولات النجاح⁽²⁾.

كما وصل الخوارج إلى الهند عن طريق التجارة، فقد شكل الخوارج الأباضية غالبية سكان عمان، واعتبر الأباضيون الدعوة إلى الإسلام واجب ديني يملية عليهم مذهبهم، ويؤكد ذلك ما جاء في مخطوط "السير والواجبات" من أن "واجب الأباضية الدعوة خارج مصر - أى خارج عمان - إلى الدخول في دين الله"، وأيضاً ما جاء في سيرة الشيخ أبي المؤثر الصلت بن خميس من أن الأباضية لو استطاعوا أن يتعدوا مصرهم إلى غيره لوجب ذلك عليهم حتى يتمكنوا من دعوة الناس "للدخول في دين الله والتسليم للعدل"، فالدعوة إلى الإسلام عند أباضية عمان واجب إسلامي عام ومذهبي خاص⁽³⁾.

وكانت عمان في نشاط تجارى كبير مع الهند منذ القدم، فغالبية السفن المتوجهة إلى الهند كان عليها التوقف في مسقط وضحار - وهما ميناءان لعمان - حتى يتزودوا بالماء والزاد ثم

(1) عبد الله مبشر الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، ج1، ص378.

(2) عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في باكستان، ص130.

(3) رجب عبد الحليم: العمانيون والتجارة والملاحة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين، مكتبة العلوم، مسقط، 1410هـ/1989م، ص42، 43.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

يتوجهوا مباشرة إلى كولملى في جنوب الملبيار، وهو الطريق الذى يصفه كتاب أخبار الصين والهند⁽¹⁾، وقد ذكر ياقوت توجه غالبية سفن الهند إلى ميناء قلّهتات بساحل عمان "إليها ترفأ أكثر سفن الهند"، وقد ارتفع شأنها بعد القرن الخامس الهجرى، فقد ذكر عنهم "وأهلها كلهم خوارج أباضية" وهم فخورون بمذهبهم عاملين على نشره ولا يتهيبون فى ذلك أحد⁽²⁾، ورغم نشاط التجار العمانيون إلا أن المذهب الأباضى لم ينتشر فى الهند، وذلك لأن المذهب الأباضى انتشر فى عمان بما لا يزيد عن 60% من سكانها، فلم يكن كل التجار العمانيون من أتباع المذهب، ولأن المذهب الأباضى أكثر مذاهب الخوارج تسامحاً، فلم يكره أحد على الدخول فى مذهبه، فكان التجار يكتفون بتلقي الأهلئ مبادئ الإسلام دون الدخول فى تفاصيل مذهبيه، وذلك بالإضافة إلى تجنب التجار العمانيون من الخوارج الحديث عن مذهبهم الذى عرف كأحد مذاهب الخوارج⁽³⁾.

وقد نجح الخوارج فى نشر الإسلام على مذهبهم فى بعض مدن الهند، فذكر الرحالة المسلمون دخول بعض مدن الهند فى دعوة الخوارج، فيذكر الإدريسى أن أهل مدينة راسك بالهند خوارج، ولهذه المدينة إقليمين أحدهما يدعا الخروج والآخر كيركايان⁽⁴⁾، ويذكر ياقوت الحموى سيطرة الخوارج على مدينة قزدار بالهند "وكان يسكنها الخليفة من الخوارج وهى بلدهم ودارهم"، وقد امتدح أمانة وحسن خلق أهل البلد⁽⁵⁾.

كما كان للمتكلمين من المسلمين -وعلى رأسهم المعتزلة- دوراً كبيراً فى الدعوة للإسلام، فقد كانوا يبحثون فى الإسلام ويعللون آراءه وتعاليمه عن طريق العقل، على حين خدم العلماء من المحدثين والمفسرين الإسلام عن طريق النقل، واضطر المتكلمون تمشياً مع العقل إلى التسلح بكل ما يعينهم، فاستعانوا بالمنطق اليونانى يصوغون فى قوالبه قضاياهم،

(1) جورج فضلو حورانئ: العرب والملاحة فى المحيط الهندئ فى العصور القديمة وأوائل العصور الوسطئ، ترجمة السيد يعقوب بكر، الأنجلو المصرية، 1958م، ص 210، 211.

(2) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج 4، ص 393.

(3) رجب عبد الحليم: المرجع نفسه، ص 316:322.

(4) الإدريسى، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس: نزهة المشتاق، مج 1، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ت)، ص 174.

(5) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج 4، ص 341، 342.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

وعرفوا آداب المناظرة والجدل وتقيدوا بقوانينهم، واطلعوا على فلسفات الأمم الأخرى وعلى آراء الفرق الإسلامية المختلفة، وقد ذاعت كثير من هذه الآراء في العصر العباسي، وسلكوا طريقتين: **الطريق الأول**: منازلة الطوائف الإسلامية الأخرى لدعوتهم لعقيدتهم، فحاربوا غلاة الشيعة والخوارج والزنادقة والمرجئة وسائر المخالفين.

الطريق الثاني: منازلة أهل الديانات الأخرى ودعوتهم للإسلام، وقد أسلم على أيديهم

الكثيرون.

ومن الأمثلة على جهود المعتزلة في نشر الإسلام في الهند، ما رواه المرتضى "أن ملك الهند طلب إلى الرشيد أن يبعث إليه من يناظره في الدين، فبعث إليه الرشيد قاضياً. لأنه كان قد منع الجدل في الدين وحبس المتكلمين. فانتدب ملك الهند "سمنياً"، أحد العلماء البوذيين. ليجادل القاضي، فسأل السمنى القاضي: أخبرني عن معبودك هل هو قادر؟ قال: نعم، قال: أفهو قادر على أن يخلق مثله؟ فقال القاضي: هذه المسألة من علم الكلام وهو بدعة وأصحابنا ينكرونه، فقال السمنى للملك: قد كنت أعلمتكم دينهم، وكتب ملك الهند بذلك للرشيد فقامت قيامته وضاق صدره، وقال: أليس لهذا الدين من يناضل عنه؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين، هم الذين نهيتهم عن الجدل في الدين، وجماعة منهم في الحبس. فقال: أحضروهم فلما حضروا قال: ما تقولون في هذه المسألة؟ فقال صبي من بينهم: هذه المسألة محال، لأن المخلوق لا يكون إلا محدثاً، والمحدث لا يكون مثل القديم، فقد استحال أن يقال يقدر على أن يخلق مثله أو لا يقدر، كما استحال أن يقال يقدر أن يكون عاجزاً أو جاهلاً، فقال الرشيد: وجهوا إليه بهذا الصبي، فقالوا: إنه لا يؤمن أن يسأله على غير هذا، فقال: اختاروا غيره، فاختاروا معمر بن عباد السلمى. من شيوخ المعتزلة. فسُم في الطريق⁽¹⁾".

3. المناظرات الدينية بين المسلمين والهنود:

امتاز العرب بعدم التعصب الديني وسماحتهم تجاه المذاهب الأخرى؛ ولذا اهتموا بدراسة الأديان الأخرى، وإبداء الرأي فيها بالنقد الصحيح البناء، فأهتم المسلمون بدراسة ديانات بلاد الهند والهند في العصرين الأموي والعباسي، وذلك لسببين هامين: أحدهما

(1) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج 1، ص 356:358.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

للعلم نفسه وثانيهما لتفهم الأحوال الدينية للهند لنشر الإسلام بها، وتم ذلك بعدة طرق منها إرسال الوفود العلمية إلى السند والهند⁽¹⁾، وأهتم البرامكة بذلك على وجه خاص في العصر العباسي، وقد نسب البرامكة إلى جدهم برمك الذي كان رئيس معبد النوبهار ببلخ، وقد أثبت بعض الباحثين أن النوبهار كان معبداً للبوذية وليس للمجوس، وأن البرامكة كانوا بوذيين موطنهم الهند لا فارس، ولذلك اهتم البرامكة بنقل العلوم والآداب الهندية إلى بغداد⁽²⁾.

وكان ليحيى بن خالد البرمكى قصب السبق في ذلك، وهو حفيد برمك الذي أسلم في عهد عثمان بن عفان فحاربه أحد الملوك وقتله هو وأهله، ولم ينجو منهم إلا برمك أبو خالد الذي فرت به أمه إلى كشمير حيث تعلم هناك الطب والفلك والفلسفة، ثم عاد إلى حكم النوبهار⁽³⁾، وجلب خالد علماء وأطباء الهند إلى بغداد مثل بهلة ومنكة وبازيكر وغيرهم، وقد أسلم بعض أولادهم مثل صالح بن بهلة⁽⁴⁾، ومن أهم أعمال خالد بن برمك إرساله عالماً في بعثة إلى الهند، ليأتيه بعقائيرهم ويكتب له عن أديانهم، وقد ظل التقرير الذي وضعه هذا المبعوث المرجع الأساسي عن أديان الهند حتى ظهور أبو الريحان البيروني⁽⁵⁾.

وقد وجه البيروني همه إلى دراسة ديانات الهند وفلسفاتها وتقاليدها، ولتعلمه اللغة السنسكريتية استطاع الإمام بعلم الهنود وكتبهم الدينية، وسجل في كتابه "تحقيق ما للهند" عادات وتقاليد وديانات وعلوم الهند في عصره، وقد أثبت الأستاذان ويلر وجون مارشل مطابقة وصف البيروني للآثار للحقيقة⁽⁶⁾، وعندما تمكن البيروني من علومهم أصبح

(1) عبد الله مبشر الطرازي: العلوم المذهبية القديمة في بلاد السند والهند.. ونظرة العرب والمسلمين إليها، مجلة الفيصل، شوال 1402هـ، ع64، ص62.

(2) السيد احتشام الندوي: البرامكة، ثقافة الهند، مج11، ع4، أكتوبر 1960، صص 65:68. السيد محمد يوسف الهندي: بدأ العلاقات العلمية بين الهند والعرب، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، مايو 1950، مج12، ج1، ص110.

(3) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج5، ص308.

(4) السيد محمد يوسف الهندي: بدأ العلاقات العلمية بين الهند والعرب، ص110.

(5) ابن النديم: الفهرست، بيروت، (د.ت.)، ص345.

(6) محمد أبي صلاح: البيروني يسيح في الهند، ثقافة الهند، يناير 1961، صص 34، 39.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

يجادلهم ويناقشهم فيها، ويبين لهم ثغراتها، فتهافتوا عليه معجبين بسعة علمه وعملوا على تكريمه⁽¹⁾.

ومن أهم الكتب التي تعرضت لمذاهب الهند كتاب "بيان الأديان" الذي تم تأليفه بغزنة سنة 485هـ/1092م، وهو يعد أقدم نص فارسي عن الملل والنحل حتى الآن، ومؤلفه أبو المعالي محمد الحسيني العلوي، وهو سني المذهب ذو ثقافة واسعة، رجع لمصادر أصلية من أهمها "البدأ والتاريخ" للمقدسي، و"آراء الهند" للبيروني، و"المقالات" لأبي سعيد الوراق، و"المقنع في الغيبة" للسيد المرتضى وغيرها، وهو سليم المنهج غير متعصب، والكتاب على صغره شامل للأديان القديمة، ومنها يعرض للمذاهب الهندية والإسلامية⁽²⁾.

وذكرت المصادر التاريخية أمثلة عن المناظرات التي كانت تقام بين علماء المسلمين وعلماء البراهمة، والتي منها ما تم ذكره من دعوة أحد ملوك السند للخليفة الرشيد أن يبعث إليه من يناظره في الدين، وما سيرد ذكره عند الحديث عن دور الصوفية المسلمين في نشر الإسلام في الهند من مناظرة الصوفي أبي عبد الله الشيرازي للبراهمة وغلبته عليهم في المناظرة. وكان لبعض ملوك الهند ولعاً بالمناظرة⁽³⁾، فيذكر الإدريسي أن ملك جزيرة سيلان رتب موضع يجتمع فيه أهل الملل المختلفة، ومنهم علماء المسلمين، ويتكلمون في دينهم، ويقيم كل واحد منهم حججه وبراهينه على صحة دينه⁽⁴⁾.

4. جهود الدعاة لنشر الإسلام في الهند :

يرجع الفضل الأول لانتشار الإسلام في الهند لجهود الدعاة المسلمين الذين أتوا أفواجاً للتبشير بالدين الجديد، وعلى العكس من الغزو السياسي لقي الدعاة ترحيباً من الشعب والحكومة ولم تنشأ أي منازعات دينية، وبنوا المساجد ولم يعترض أحد على ذلك، فكان من تقاليد الهند القديمة التسامح مع جميع الأديان، وهكذا أقبل الإسلام إلى الهند بوصفه ديناً قبل

(1) البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، ط2، بيروت، عالم الكتب، 1403هـ/

1983م، ص20، 21.

(2) أبو المعالي محمد الحسيني العلوي: بيان الأديان، نقله إلى العربية يحيى الخشاب، فصلة من مجلة كلية الآداب، م19، ج1، مايو 1957، مطبعة جامعة القاهرة، 1959، ص11، 12.

(3) النجرامى: العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية، ط1، دار الفكر، بيروت، 1979م،

ص160

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج1، ص73، 74.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

مجيئه إليها كقوة سياسية⁽¹⁾، فهاجر كثير من العلماء والمشايخ أوطانهم ودخلوا الهند دعاء مرشدين، وخالطوا أهلها وعاشروهم، ولقنوهم مبادئ الدين الحق، فتأثر سكان البلاد بأخلاقهم الزكية وسجاياهم العالية، واختاروا الإسلام ديناً عن اقتناع وطيب نفس، وإلى هؤلاء الدعاة يرجع الفضل في انتشار الإسلام في الهند⁽²⁾.

ورغم الجهود الجليلة التي قام بها الدعاة لنشر الإسلام إلا أن المؤرخين لم يذكروا عنهم إلا أخباراً قليلة، أغلبها موجودة في كتب الرحالة والجغرافيين⁽³⁾، ومن الدعاة الذين ورد عنهم بعض الأخبار الشيخ إسماعيل، كان من أشهر الأولياء الصالحين في بخارى، كما عرف بثقافته الدينية والدنيوية، وقد قيل أنه أول داعي مسلم دعا إلى الإسلام في لاهور، قدم إليها سنة 396هـ / 1005م، وقد تدفقت الجموع الزاخرة إليه ليستمعوا إلى مواعظه، وسرعان ما تزايد عدد الداخلين في الإسلام على يديه يوماً بعد يوم، وقد قيل أنه ما من كافر وفد عليه واتصل بشخصه إلا أسلم⁽⁴⁾.

واصطحب التجار الدعاة والصوفية في أسفارهم، وذلك لعدة أسباب: أولاً لتفقههم في الدين، مما يؤهلهم لإمامة الصلاة والدعوة للإسلام، والعمل كقضاة لحل الاختلافات الشرعية، وثانياً لأن وجودهم يعطى راحة وطمأنينة لركاب السفينة وخاصة في الرحلات الخطرة، وثالثاً لنفعهم كوسطاء بين التجار والسلطات المحلية عند حدوث خلافات سياسية أو اقتصادية⁽⁵⁾.

وانتشر الإسلام في جنوب الهند عن طريق الدعاة المسلمين، وتكاثر المراكز الإسلامية في أنحاء المليبار، وبدأ التجار القادمون من العرب والفرس وغيرهم يستوطنون بلاد المليبار، كما بدأ المواطنون المحليون يدخلون الإسلام جماعات وفرداً بفضل جهود الدعاة، ويذكر

(1) جواهر لال نهرو: اكتشاف الهند، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1961، ص138، 137.

(2) مسعود الندوى: نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند وباكستان، القاهرة، المطبعة السلفية، 1372هـ، ص15.

(3) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص225.

(4) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص239.

(5) Saiyid Athar Abbas Rizvi: A History of Sufism in India, vol. 1, Early Sufism and its History in India to AD 1600, New Delhi, Munshiram Manoharlal Publishers, 1975, p.409.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

الشيخ زين الدين عن أحوال المسلمين في المليار: لم يكن في مليار ملك مسلم، وكان يحكم على المسلمين ملوك هندوكيون، وكانت الخلافات الداخلية الناشبة بين المسلمين وبعضهم وكذلك مطالبهم الخاصة تعرض على هؤلاء الملوك فيفصلون فيها.

وقد استوطن المسلمون في مختلف أنحاء مليار، وبنوا هناك المساجد والمسكن، وعاشوا فيها فرحين مستبشرين، وكانوا يحتفلون بأيام الجمع والأعياد بغبطة وسرور، وقد عين القضاة والمؤذنون في المراكز الإسلامية من جانب الحكومة، وكانوا يأخذون رواتبهم الشهرية من خزانة الدولة، وكانت التعاليم الدينية تنفذ بعناية فائقة، وأما يوم الجمعة فكان يوم عطلة عامة، واشتغل المسلمون بالتجارة والزراعة، ولم تفرض الحكومة أية ضريبة على المزارعين، وأما التجار فتحصل منهم عشرة في المائة من مجموع الأرباح، ونظر الهندوس المحليون إلى المسلمين بعين الاحترام، وإذا اعتنق هندوسى الدين الإسلامى تعاملوا معه كسائر المسلمين الأصليين معاملة احترام وتقدير، ولأجل هذا رغب أهل البلاد طبيعياً في اعتناق الدين الإسلامى⁽¹⁾.

وقد اختلط المستوطنون المسلمون بساحل المليار بالسكان الأصليين، ونشروا الإسلام بينهم، وتزوجوا منهم، مما أدى إلى تكوين طوائف بها عناصر مختلطة مثل "رفوتار" Ravuthars و"لبى" Labbais وغيرهما من الطوائف⁽²⁾، وجماعة الرفوتار دخلت في الإسلام في وقت مبكر، ويعزون دخولهم فيه إلى الدعاة الذين مازالوا يمجدون قبورهم حتى الوقت الحاضر⁽³⁾.

ووصف ابن بطوطة عندما زار بلاد المليار حال المسلمين بها " والمسلمون أعز الناس بها غير أنهم لا يواكلونهم ولا يدخلون دورهم "، وإذا مر المسلمون في الطريق تنحوا لهم حتى يجاوزوهم، ومن أشهر مدن المليار التي سكنها المسلمون مدينة " منجرور " الواقعة على خور الدنب، وهو أكبر خور ببلاد المليار، وقد ضمت، وقت زيارة ابن بطوطة لها، أربعة آلاف

(1) محى الدين الالوائى: " مابالا"، ثقافة الهند، سبتمبر 1955، مج 6، ع 3، ص 47.

(2) ب. راما كرشنا راؤ: هيكل الثقافة الهندية، ثقافة الهند، يوليو 1960، مج 11، ع 3، ص 139.

(3) رجب عبد الحليم: العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين، ص 78.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

مسلم سكنوا ربضاً بناحية المدينة، وإذا وقعت حرب بينهم وبين أهل المدينة يصلح السلطان بينهم لحاجته إلى التجار المسلمين، فقد كان غالبية تجار فارس واليمن ينزلون بها، ولذا فقد انتشر الإسلام في بلاد المليبار على المذهب الشافعي السائد في هذه البلدان، ومن أشهر علمائها وقت زيارته ابن بطوطة القاضي الشافعي الفاضل بدر الدين المعبري الذي كان يدرس العلم بمدينة منجورور، كما ذكر عن أهل مدينة هيلي أنهم شافعية المذهب ذو صلاح وجهاد في البحر، ولقى بها من المتعبدين الشيخ محمد الناقوري، ومن العلماء الفقيه إسماعيل والقاضي نور الدين والخطيب.

ويحدثنا ابن بطوطة عن تسامح ملوك المليبار تجاه المسلمين، وأشهرهم سلطان كويل وهو أكبر سلاطين المليبار، وله مراكب كثيرة تتاجر مع عمان وفارس واليمن، وبنى والده في مدينة "ده فتن" البانين الأعظم وبإزائه مسجداً جامعاً للمسلمين، وقد حكى قصة إسلام بانيهما، أنه كان بجوار الجامع شجرة يسمونها "درخت الشهادة" وهي تسقط في كل خريف ورقة واحدة مكتوب عليها "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وأخبره جماعة من الثقات أنهم عاينوا ذلك بأنفسهم، وقرؤوا المكتوب عليها، وكان جد كويل يعرف الخط العربي فلما قرأها أسلم، كما أورد بزرك بن شهريار نفس القصة في كتابه "عجائب الهند"⁽¹⁾، وبدل ذلك على ذيوع هذه الرواية في الموروث الشعبي لهذه المدينة.

ويذكر ابن بطوطة كثرة المسلمين بمدينة "فندرينا" حتى أن لهم بها ثلاث محلات، في كل محلة مسجد، والمسجد الجامع بها على البحر، وهو كبير جميل المنظر، وتقام به مجالس العلم، وقاضيه رجل من عمان. وذكر عن مدينة "هيلي" أنها معظمة عند المسلمين والكفار، بسبب مسجدها الجامع الذي يعتقدون في بركته، وينذرون له النذور الكثيرة، ويشرف على خزائنه العظيمة الخطيب حسين وحسن الوزان كبير المسلمين، ويتلقى العلم بالمسجد الطلبة، ولهم مرتبات من ماله، وله مطبخ يصنع فيه الطعام للزوار وفقراء المسلمين⁽²⁾.

(1) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج2، تحقيق عبد الغنى شاکر، مطبعة وادي النيل، القاهرة، 1287هـ، ص ص 106: 111. بزرك بن شهريار: عجائب الهند، ص 170، 171.

(2) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج2، ص ص 110، 112.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

وتمتع المسلمون بمكانة رفيعة في الملييار، وكانت الأحياء الإسلامية في البلد تسمى "مائيلاً"، وهو لقب شرفي، وتلقي سكان تلك الأحياء تبجيل واحترام من الأهالي، كما منحهم الملوك والأمراء كثيراً من الامتيازات⁽¹⁾، وإن لم يقتصر هذا الاسم على المسلمين فقط في الملييار، بل دعى به أيضاً المسيحيون في تلك الولاية المنتمين إلى الكنيسة السريانية التي كان لها نفوذاً كبيراً في العراق وسوريا قبل الإسلام، وقد وفد عدد كبير منهم إلى الملييار واستوطنوا بها. ويذكر "ولسن" في محاولة للوصول لرأى عن منشأ الكلمة: أنها مجموع كلمتي "ما" و"بلا" ومعناها ابن الأم، ويستدل من ذلك أن التجار والدعاة المسلمين من العرب والعجم كانوا يتزوجون من نساء الملييار، ومن عاداتهم أن يطلقوهن حين عودتهم إلى أوطانهم، فدعى أولادهم "مايلاً" نسبة إلى أمهاتهم. وفي تفسير آخر جاء في "مدراس كلوسرى" أن "ما" كلمة دخيلة على اللغة الملييارية من السنسكريتية، ومعناها "العظيم"، وعندما وصل المسلمون إلى الملييار استقبلهم الأهالي بحفاوة، ولقبوا أبنائهم باسم "مايلاً" أى "ابن العظيم"، وكلمة "بلا" في اللغة الملييارية بمعنى ابن⁽²⁾.

ومن أهم المنحدرين من النسل العربى المنتشرين بساحل الملييار قبيلة "مركار" التي أصبح لها دوراً عظيماً في تاريخ الجيوش البحرية الهندية، فقد استطاعت جيوش ساموتري المؤلفة من قبيلة مركار أن ترد غارات البرتغاليين عن السواحل الهندية لسنوات، ويرجح المؤرخون أنهم من نسل العرب الذين قدموا الهند في القرن الأول الهجري / السابع الميلادى، ولذا أطلقوا عليهم "مركب كار"، وكار في اللغة الملييارية بمعنى أصحاب أو أهل أى أصحاب المركب، وتطورت إلى "مركار"، وفي تفسير آخر لأصل الكلمة للمؤرخ البرتغالى البنيامى، أن أصلهم من الأجانب الذين قدموا سواحل الهند في العصور الأولى للإسلام ثم أسلموا، فكانوا يدعون بين المسلمين في تلك البلاد "ماركّه كار" أى أصحاب الدين أو

(1) إسماعيل العربى: الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، الدار العربية للكتاب، 1985، ص38.

(2) محى الدين الالوائى: "مابلا"، ص31.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

المذهب باللغة المليارية، وقد ظلوا محتفظين بالخصائص المميزة للعرب في شتى مرافق الحياة، مما ميزهم عن سائر أهالي المليار⁽¹⁾.

وكان نظام الطبقات المجحف في بلاد المليار من أهم أسباب انتشار الإسلام بها، فيذكر الشيخ زين الدين في الجزء الثالث من كتابه "تحفة المجاهدين" بصدد حديثه عن عادات وتقاليد الهندوس في المليار: إذا لمس أو قرب فرد في الطبقة السفلى من شخص من الطبقة العليا فلا يجوز له تناول الطعام قبل أن يغتسل، وإذا خالف أحد هذه القاعدة فيطرد من طبقته بل ومن مذهبه، وكذلك ممنوع على الطبقات العليا تناول طعام مصنوع بأيدي أفراد من الطبقة السفلى، وإذا تزوج فرد من الطبقة العليا بامرأة في الطبقة السفلى أو تزوج شخص من الطبقة السفلى بامرأة من الطبقة العليا فيطرد كل من الرجل والمرأة من الطبقة العليا من مذهبه.

كما كتب الرحالة "دونو سيفانوت" Thevanot عن نظام الطبقات في المليار، فذكر أنه يوجد في المليار طائفتان معروفتان باسم "ناير" و"بلين"، وإذا اقترب فرد من الطائفة الأخيرة بشخص من الطائفة الأولى تنجس ناير طبقاً للاعتقاد الشائع، ويجب على ناير قتل ذلك البلين، وإلا إذا علم الملك بهذا يصدر أمره بقتل ناير، وإذا وقع ناير في مثل هذه الفضيحة فليس أمامه إلا الفرار من بلده أو اعتناق الإسلام، وكان الإسلام لطائفة بلين المنبوذة ملجأً للنجاة من هذه العيشة الوضيعة، لأنهم بدخولهم الإسلام ينعمون بالمساواة مع سائر المسلمين وبالإحترام من سائر الطوائف⁽²⁾، وقد كان من يدخل في الإسلام من أهل البلاد يلقب بلقب الشخص الذي بلغ أعلى مرتبة بين الذين دعواهم للإسلام، ويندمجون في الأرستقراطية الإسلامية، ولذلك فقد لقب أكثر من نصف مسلمي الهند بألقاب الشعوب الأجنبية المتميزة مثل شيخ وبك وخان وسيد⁽³⁾.

(1) الأستاذ أبو صالح: كيرله و" الأسرة المركارية"، ثقافة الهند، مج 14، ع2، إبريل 1963، ص45، 46.

محي الدين الألوائي: قبيلة "مركار" الشجعاء، ثقافة الهند، إبريل 1960، مج11، ع2، ص62:64.

(2) محي الدين الألوائي: "مابالا"، ص48، 49.

(3) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص286.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

ولذا فقد دخل في الإسلام غالبية طبقة الساكين " مكهه وَن "، و طبقة "تسرومن" أى حراث الأرض، وغيرهما من الطبقات المنبوذة. وبلغ من كثرة تحول الناس من الهندوكية إلى الإسلام أن ميول مسلمي الساحل الغربى وكذلك الساحل الشرقى لبلاد الهند الجنوبية تجنح إلى الطابع الهندوكى الوطنى، ويمثل السواد الأعظم منهم الآن كل الصفات التى يتميز بها شعب أصيل في القومية مع قليل جداً من الدم الأجنبى القديم الذى يجرى في عروقهم⁽¹⁾. ويقع في الجنوب الشرقى من بلاد المليبار بلاد المعبر "كورامندل"، وكانت السفن العربية والفارسية في طريقها إلى الصين وجاوا تقف في موانئ المعبر كما تقف في شواطئ المليبار. واستوطن كثير من العرب والفرس موانئ هذه السواحل في القرون الأولى للإسلام، وعملوا بالتالى على نشر الإسلام بها⁽²⁾.

كما وصل الإسلام مبكراً إلى جزيرة سرنديب (سيلان) عن طريق التجار العرب الذين كانوا يشحنون بضائعهم إلى الخليج الفارسى وسواحل الهند وسيلان والصين، وكانوا يبشرون في طريقهم بالدعوة الإسلامية في كل بلد ينزلوه، وبذلك وصل الإسلام إلى الهند وسيلان منذ القرن الأول للهجرة⁽³⁾، ويذكر بزرك بن شهريار، الذى ألف كتابه "عجائب الهند" سنة 404هـ/1013م، أن أهالى سرنديب عندما سمعوا عن الرسول (ﷺ) أوفدوا رجلاً منهم للاستطلاع عن طبيعة الدعوة المحمدية، ولكن لعقبات واجهته وصل في خلافة عمر بن الخطاب (13-23هـ/634-644م) فتشرف بمقابلته، وتعرف منه على الإسلام ودعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ثم عاد إلى سرنديب، ولكن فاجأه الموت في مكران، وكان معه خادماً هندياً فعاد إلى سيلان وبين لأهلها كل ما سمعه عن الإسلام والرسول وعن أبى بكر الصديق، وما جرى مع الخليفة عمر بن الخطاب الذى قال عنه: "إن عمر بن الخطاب رجل تقى شجاع، يلبس الثوب المرقع، وينام في المسجد"⁽⁴⁾.

(1) أرنولد: المرجع نفسه، ص 229.

(2) محى الدين الألوائى: "مابالا"، ص 49.

(3) محى الدين الألوائى: المرجع نفسه، ص 42.

(4) بزرك بن شهريار: عجائب الهند، ص 156، 157.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

ومما يدل كذلك على وصول الإسلام إلى سرنديب منذ عصوره الأولى وجود ضريح لمسلم في القسم الجنوبي الشرقي من الجزيرة، يعود تاريخه إلى القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، كما وجد أيضاً مسجد قديم متهدم يقال أنه بنى على الموضوع الذي دفن فيه أول شخص مسلم قضى نحبه في سرنديب، وهو الشخص الذي بقى من البعثة التي أرسلها أهل سرنديب إلى الرسول (ﷺ) (1).

ومما يؤكد وجود أعداد من المسلمين في هذه الفترة المبكرة ما ذكره البلاذري عن أسباب فتح السند من اعتراض قراصنة الميد لسفينة أهداها ملك جزيرة سيلان إلى الحجاج تحمل نسوة مسلمات ولدن في بلده، وقد توفي عنهن آبائهن اللذين كانوا من التجار العرب. (2) مما يدل على وصول التجار العرب لجزيرة سيلان في وقت مبكر، وقد قاموا بالتالي بنشر الدعوة الإسلامية كحالمهم في أي بلد يحطوا رحالهم بها.

ومما ذكره الإدريسي عن جزيرة سيلان أن بها في عصره . منتصف القرن السادس الهجري، ملك عادل وسياسي ماهر دائم الاطلاع على أحوال رعيته، وله ستة عشر وزير أربعة منهم من أهل ملته وأربعة نصارى وأربعة يهود وأربعة مسلمين، وقد رتب لهم موضع يجتمع فيه أهل الأديان المختلفة ويتناظرون في أديانهم، ويقوم كل واحد منهم حجته على دينه، ويدون الملك مناظراتهم، ويجتمع لعلماء كل ملة كثير من الناس والطوائف، فيكتبون عنهم سير أنبيائهم وقصص حكامهم، ويعلمونهم شرائعهم ويفهمونهم ما لا يعلمونه (3). فملك جزيرة سيلان بذلك يسمح بالتبشير في جزيرته لمختلف الأديان ومنها الدين الإسلامي، مما أدى لانتشار الدين الإسلامي بجزيرة سيلان.

وكان انتشار الإسلام في جزيرة سيلان بطيئاً، فقد ذكر القزويني، النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وجود المسلمون في سيلان، وإن كان أكثر أهلها مازالوا على

(1) رجب عبد الحليم: العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين، ص90.

(2) البلاذري: فتوح البلدان، ص452.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج1، ص73، 74.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

ملتهم⁽¹⁾، ويؤكد ذلك ما ذكره الرحالة المتأخر ابن بطوطة، فيتضح من حديثه قلة انتشار الإسلام بين أهالي جزيرة سيلان، وإن كانوا يعظمون المسلمين ولا يؤذونهم، وذلك بفضل كرامات الصوفي الشهير أبي عبد الله بن خفيف، وهو أول من فتح ذلك الطريق الذي سار منه ابن بطوطة لزيارة قدم آدم عليه السلام بجزيرة سيلان، وكان الهندوس من الأهالي يمنعون المسلمين من ذلك ويؤذونهم ولا يتعاملون معهم في الأكل والبيع، ومنذ قدوم الشيخ أبي عبد الله إلى سيلان أصبح الهندوس يعظمون المسلمين ويطمئنون إليهم، ويدخلونهم بيوتهم ويطعموهم، وظلوا يعظمون الشيخ أبي عبد الله إلى وقت ابن بطوطة.

وقد ذكر ابن بطوطة مشاهدته لمسجد الشيخ عثمان الشيرازي المعروف بشاوش خارج مدينة "كُنْكار"، وهي حضرة السلطان الكبير بالجزيرة، والسلطان وأهل المدينة يعظمون الشيخ عثمان الشيرازي ويزورونه، وقد كان الدليل إلى قدم آدم حتى قطعت يده ورجله بسبب ذبحه لبقرة، وفي حكم الهندوس أن من ذبح بقرة إما يذبح أو يخيظ في جلدها ويحرق، ولكن لمنزلة الشيخ العظيمة اكتفوا بقطع يديه ورجليه وأعطوه جباية بعض الأسواق، وصار أولاده وغلمانهم يدلون على القدم، كما شاهد ابن بطوطة مغارات حفرت في الجبال لبعض مشايخ الصوفية والأولياء والصالحين من المسلمين الذين جاءوا للتعبد عند قدم آدم، ومنها مغارة أسطا محمود اللورى، ومغارة بابا طاهر، ومغارة الأصفهاني⁽²⁾، ويدل ذلك على توافد عدد من العلماء والصوفية للدعوة في سيلان.

وعيش المسلمون في سرنديب في المنطقة الشرقية، إلا أن خمسين منهم يعيشون في الحصن القديم "كالى" ويعملون بالتجارة، وهم من أصول مختلفة، فبعضهم من أصل عربى أو من التجار الذين وفدت سفنهم إلى "كالى" منذ ألف عام قادمة من بلاد العرب ومصر وفارس وجاوة للتجارة، وبعضهم من أصل آخر لأنهم طوال القامة وجوههم حادة، ويتميزون بعماماتهم وأرديتهم الطويلة، وهؤلاء يعرفون محلياً بالأفغانية الذين نزحوا من الهند⁽³⁾.

وقد انتشر الإسلام في جزر المالديف واللكاديف التي كانت تعرف في العصور الوسطى باسم جزر الدبيجات أو جزر ذبية المهل نسبة إلى اسم أكبر جزيرة فيها، وقد ميز الرحالة

(1) زكريا بن محمد بن محمود القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، (د.ت)، ص 43.

(2) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج 2، ص 132، 133.

(3) جمال الدين الرمادى: الإسلام في المشارق والمغرب، ص 59.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

والجغرافيون العرب بين اللكاديف والمالديف التي تقع جنوبها، بأن الأولى تصنع فيها الحبال من قشر جوز الهند بينما الأخرى تنتج أصداف صفراء تستخدم كعملة بها وفي بعض أماكن الهند وأفريقيا، ولذلك كان يقصدها التجار المسلمون من العرب والفرس وحملوا الإسلام إليها، وكان ذلك في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي على الأقل، فقد ذكر أبو زيد السيرافي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي أن العمانيين كانوا يقصدون جزائر بلاد الهند مثل المالديف وغيرها ومعهم آلات النجارة لقطع خشب النارجيل لبيعوه في بلادهم لصناع السفن، وقد أيد ذلك المسعودي المعاصر لأبي زيد السيرافي، فذكر أن النواخذة العمانيين والسيرافيين وغيرهم كانوا يتوجهون لهذه الجزر التي يبلغ عددها ألف وتسعمائة جزيرة عامرة بالناس، وقد أدى ذلك لتوطن عربي إسلامي واسع في هذه الجزر، وقد لاحظ ابن سعيد المغربي في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ذلك التوطن، فذكر أن جزيرة دويبي، وهي إحدى جزر الديبجات (المالديف) الكبيرة، أكثر سكانها من أبناء العرب، وكان المسافرون إلى الهند ينزلون عندهم ويتاجرون معهم⁽¹⁾.

وعند زيارة ابن بطوطة لها كان أهلها كلهم مسلمون، ويذكر أنه لقوة إيمانهم دعائهم مجاب، ولذا يخشى لصوص الهند من التعرض لهم لأنهم جربوا أن من أخذ منهم شيئاً أصابته مصيبة عاجلة، ولذلك لا يعرض لهم أحد بسوء رغم ضعفهم، وقد ذكر ابن بطوطة تحول أهل جزائر ذبية المهل إلى الإسلام على المذهب المالكي، وهم يجلبون علماء الدين، فإذا لقي أحدهم القاضي أو الخطيب وضع ثوبه على كتفيه وكشف ظهره، ومضى معه كذلك حتى يصل إلى منزله. ويسمون القاضي "فنديار قالوا"، ومما ذكره عن منزلة القاضي عندهم "أحكامهم كلها راجعة إلى القاضي"، "وهو أعظم عندهم من الناس أجمعين"، "وأمره ممثّل كأمر السلطان وأشد"، ويأخذ جباية ثلاث جزر لنفسه، وقد تولى ابن بطوطة ولاية القضاء في هذه الجزر، واجتهد في إقامة الشريعة الإسلامية⁽²⁾.

(1) رجب عبد الحلیم: العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام منذ ظهوره إلى قدوم البرتغاليين، ص 92:95.

(2) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج2، ص ص 177:123.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

وقد زعم بعض المؤرخين أن تاريخ تحول سلطان الجزائر أحمد شنورازة للإسلام حوالى سنة 1200م، ولكن من المرجح أن تجار المسلمين قد أدخلوا الدين الإسلامى إلى الجزيرة قبل ذلك الوقت بما لا يقل عن ثلاثة قرون، وأن خطوات هذا التحول تمت تدريجياً، وإن لم تصل إلينا معلومات تفصيلية عن هذا التحول، ومن أمثلة الدعاة المسلمين الذين نجحوا في نشر الإسلام في الجزائر الشيخ يوسف شمس الدين من تبريز في إيران، وقبره موجود في مالى مقر الحكومة، ولا يزال الناس يعظمونه، ويقومون دائماً على إصلاحه، كما دفن في نفس هذه الناحية من الجزيرة بعض مواطنيه الذين جاءوا للبحث عنه، وظلوا في جزائر المالديف حتى زمن وفاته (1).

ويذكر أهل جزر اللكاديف أن الإسلام وصلهم على يد أحد الأولياء المسلمين الذى تحطمت سفينته على صخور الجزيرة، مما يدل على أنه كان تاجراً وداعية في نفس الوقت، ومن المحتمل أن يكون قد وصل إليها في القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى (2)، فقضى ذلك المكان في الوقت الحاضر يدعى أن هذا الداعى هو جده السادس والعشرون، ومازال قبر الداعية موجوداً حتى الآن يشاهد في أندروته، ويعرف عند سكان هذه الجزر باسم مبالايكا (3).

وتشير كل الدلائل التاريخية أن الهند هى المصدر الذى استمدت منه إندونيسيا الإسلام، وليس هناك دليل لإثبات أن الإسلام وصل إندونيسيا عن طريق التجار العرب، فمع انتشار الإسلام في جنوب الهند بواسطة التجار المسلمين الذين وصلوا إليها في القرون الأولى للإسلام، واستغلوا النزاعات السياسية والدينية بين الهنود لنشر الإسلام، فاندمجوا مع السكان المحليين وتحذثوا لغتهم وتطبعوا بتقاليدهم وتزوجوا من نساءهم فجعلوا كل من يتصل بهم يعتنق الإسلام لمحاولاتهم السلمية وأخلاقهم العالية، بالإضافة لجهود الدعاة الذين أتوا خصيصاً بغرض الدعوة، ومع انتشار الإسلام في جنوب الهند أخذ طريقه نحو سومطرة في الشرق، وكان معظم الدعاة له من أهل تامل في جنوب الهند، وكان هؤلاء الدعاة على معرفة بالنواحي المختلفة للحياة في سومطرة، فوقفوا في تهيئة السكان لقبول الدين

(1) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص 230.

(2) رجب عبد الحليم: العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام، ص 96.

(3) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص 230.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

الجديد حتى ترك الإسلام دوراً كبيراً في ثقافة سومطرة، وقد سلكوا في سبيل ذلك طرق عديدة، وكانت اللغة ذات أهمية كبيرة لهؤلاء الدعاة، وقد كتبوا اللغة الملايوية بالخط العربي⁽¹⁾.

وقد اعتنق سكان إندونيسيا الإسلام على المذهب الشافعي الذي كان سائداً في سواحل جنوب الهند في كورومانديل والمليبار، ولقد تميز الإسلام الذي دعا إليه التجار الهنود في إندونيسيا بصفات خاصة، فقد وصل إليها بعد أن اخترق إيران والهند، وظهرت عليه آثار هذه الرحلة الطويلة، وذلك على حد تعبير الأستاذ سنوك هرجرونييه: وضع "الإسلام الهندي" للفكر قيمة أكبر مما وضع للعمل، فتحصيل الأفكار الصحيحة عن العلاقة بين الله والعالم وعن مكانة الإنسان في الكون تعد أعظم شأنًا من الفرائض التي أمر الله بها عباده⁽²⁾. وقد أدى انتشار الإسلام في إندونيسيا إلى خلق مجتمع إسلامي بها متشعباً بالثقافة الإسلامية، وقد تعود هذا المجتمع أن ينظر إلى المسلمين المنحدرين من أصل هندي أو فارسي أو عربي على أنهم هدايتهم للإسلام، وقد ظهر بعد ذلك منهم علماء في اللغة العربية والدين الإسلامي، ورغم قلة عددهم إلا أنهم لعبوا دوراً هاماً في النشاط الثقافي في البلد وفي الدعوة للإسلام⁽³⁾.

5. دور الصوفية في نشر الإسلام في الهند :

لعب الصوفية دوراً رئيسياً في نشر الإسلام، وهو دور عالمي قام به المتصوفة المسلمون في الهند وأفريقيا، وكان لهم فضلاً كبيراً في نشر الإسلام في الهند، وخاصة في المناطق التي لم تدخلها الجيوش الإسلامية⁽⁴⁾. وقد تدفق إلى الهند سيلاً من الصوفية والعلماء وخاصة بعد فتوحات السلطان محمود الغزنوي، وهذه الفئة من العلماء والصوفية كانت تضم في قلوبها تسامح الإسلام تجاه الأديان الأخرى⁽⁵⁾.

(1) محمد حسين نينار: التأثير الهندي والعربي على أندونيسيا، ثقافة الهند، إبريل 1962، مج 13، ع 2، ص 64:66

(2) جي. ئي. كرونياوم: الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، ترجمة صدقي حمدي، دار المنتبي، بغداد، 1966، ص 417.

(3) محمد حسين نينار: التأثير الهندي والعربي على أندونيسيا، ص 69.

(4) عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 502.

(5) ب. راما كرشنا راؤ: هيكل الثقافة الهندية، ثقافة الهند، يوليو 1960، مج 11، ع 3، ص 141.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

وامتازت الهند بين بلدان العالم بأنها لم تكن منبعاً لحضارة راقية فقط بل ظلت مركزاً للإشعاع الروحي أيضاً بكونها مهداً لأديان مختلفة ومنبعاً لمذاهب شتى، ومنها ظهر عدد كبير من الصوفية والنسك والزاهدين، ومن هؤلاء الصوفية المسلمين، الذين إما وصلوا الهند مهاجرين من بلادهم الأصلية مثل تركستان وسجستان وبخارى وغيرها، واستوطنوها وجعلوها مقراً لهم، وإما هؤلاء الذين ولدوا وعاشوا بها⁽¹⁾.

وصحب الصوفية التجار في رحلاتهم إلى الهند، ومنهم أبو إسحق الكازيروني، الذي استحق التبجيل من التجار والمسافرين عبر الطرق بين الخليج الفارسي والهند والصين، وكان ذلك سبباً في تأسيس الخانقاوات للصوفية في عدة أماكن على الطريق، وبدأ الكثيرون من المتصوفة الكازيرونيين في السفر من الهند إلى الصين مع البحارة والتجار للحصول على الحماية التي اعتقدوا أن الشيخ أبو إسحق الكازيروني يمنحهم إياها، وبالتدرج بدأ تأسيس خنقاوات أخرى للكازيرونية في مراكز أخرى في جميع الجزر⁽²⁾.

ولقد لقن الصوفية المسلمون الناس دروس الحب والإخوة والتسامح والمساواة، وحثوا على فعل الخير واجتناب المعاصي، ودعوا للإسلام بأسلوب جذاب ونية خالصة، فجعلهم الله سبباً في دخول الكثيرين للإسلام، وهدى الله بهم العديد من الناس، وكانت الزوايا والتكايا بمثابة مراكز للتدريب الروحي، ولذلك لا تزال أضرتهم المبعثرة في مختلف أنحاء الهند إلى اليوم بمثابة كعبة للناس، يتدفقون إليها من كل صوب، بغض النظر عن دياناتهم وطبقاتهم للاشتراك في مناسبات إحياء ذكرى مولدهم التي تقام بكل أهبة⁽³⁾.

ومما يشهد على دورهم العظيم في نشر الإسلام ما ثبت عنهم في الروايات الشعبية وبقايا عمائر الصوفية ومؤلفاتهم. وقد جاهد الصوفية لنشر الإسلام في الهند بكافة السبل، فراققوا الجيوش الإسلامية في فتح الهند مع العلماء والفقهاء، وذلك ليس لاجتلاب البركة بهم فقط، ولكن أيضاً للقيام بوظيفة الوعظ والإرشاد للسلطان، وتشجيع الجنود على الجهاد، ولإبداء

(1) عبد الحلیم الندوی: مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، مدراس، مطبعة نوري المحدودة، 1386هـ/ 1967م، ص 146، 147.

(2) Saiyid Athar Abbas Rizvi, A History of Sufism in India, vol. 1, p.409.

(3) عبد الحلیم الندوی: المرجع نفسه، ص 148.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

المشورة عند عقد عهد الصلح أو الهدنة، ولتوزيع الأنصبة والأرزاق والغنائم، وأهم من ذلك لنشر الإسلام بين الأسرى الهندوس، وقد كانت تفلح كثير من محاولاتهم معهم. هذا في حالة الحرب أما في حالة السلم فكانوا ينتشرون في البلاد لنشر الإسلام بين الطبقات الشعبية للهندوس كما اقتنع بدعوتهم بعض ملوك الهند الذين دخلوا في الإسلام، ولقد تطلب ذلك منهم أن يكونوا مثلاً أعلى للدعوة والمجادلة والسياحة من مكان لآخر حتى يستقر بهم المقام في زاوية بمدينة حتى تحضرهم الوفاة فتصبح قبورهم وزواياهم مزارات للتبرك بها، وقد وصلوا بالإسلام حتى جنوب الهند⁽¹⁾.

ويذكر ابن بطوطة مشاهدته لكثير من المزارات وقبور الصوفية التي يُتبرك بها وخاصة في دهلي، ومنها قبر الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي ومقبرة إبراهيم القونوي وقبر علاء الدين الكرمانى، والأخير مكانه بظهر قبلة المصلى، وبموضعه قبور كثير من الصالحين، وقبر الفقيه نور الدين الكرلانى، وغيرهم كثير⁽²⁾.

وكان الهنود يذهبون مع المسلمين لزيارة أضرحة الصالحين وينذرون النذور للإنجاب، فإذا استجيب دعاء أحدهم ورزق بولد بر بقسمه واعتنق الإسلام، ودخل جميع أفراد أسرته في الإسلام، والأمثلة على ذلك كثيرة⁽³⁾.

ولقد فتحت فتوحات الأتراك السبيل إلى تدفق الصوفية الفرس والترک، فقد تشرب العنصر التركي الإسلام مع النزعة الصوفية، وقد ساعد هذا الأمر على تمكين الإسلام في نفوس الهنود الذين تميل قلوبهم إلى هذه النزعات الصوفية، وبعد أن استقرت أحوال الهند أصبحت موئلاً للعلماء المسلمين ومنهم الصوفية الذين قصدوها لنشر الإسلام بين أهلها، وكذلك لبعدها عن الاضطرابات والفتن التي سادت إيران وتركستان، مما أدى إلى إذكاء الثقافة الإسلامية في الهند⁽⁴⁾، واتخذ الصوفية اللغة الفارسية سبيلاً لهم في نشر الإسلام في

(1) عادل رستم: مظاهر الحضارة الإسلامية في عصر سلطنة دهلي، ص 363:365، د، ه في الخاتمة.

(2) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج 2، ص 18.

(3) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص 247.

(4) حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى، ص 232، 233.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

الهند، ودون أغلبهم كتبه أو نظمه بالفارسية⁽¹⁾، وأصبحت بذلك اللغة الفارسية في الهند ليست فقط اللغة السياسية والعسكرية بل لغة الدين الإسلامي أيضاً⁽²⁾.

ومن أبرز مشايخ الصوفية الغزنويين الذين زاروا الهند أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجويري الغزنوي، كان عالماً من علماء الصوفية في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، كان معاصراً للدولة الغزنوية (387-582هـ/997-1186م)، وتوفي في عهد السلطان إبراهيم الغزنوي (451-492هـ/1059-1098م). ولد الهجويري بمدينة غزنة، واستمد لقبه الجلابي والهجويري نسبة إلى جلاب وهجوير، وهما مملكتان من توابع غزنة، وقد تلقى علومه الأولى في غزنة، ثم سافر في طلب العلم فزار العراق وخراسان وما وراء النهر وخوزستان وفارس وأذربيجان وجرجان والهند، والتقى بعدد من شيوخ التصوف المعروفين وأخذ عنهم، ومن أهم شيوخه أبو الفضل محمد بن الحسن الختلي الذي كان من مريديه، وعلى يديه سلك الطريق، وأخذ عنه مذهب الجنيد، ومن معلميه أيضاً أبو القاسم علي الجرجاني الطوسي الذي كان يتوجه بإرشاداته، وخواجه أبو أحمد المظفر بن أحمد بن حمدان⁽³⁾.

والمرجح أن الهجويري زار الهند مرتين الأولى ضمن جولته في العالم الإسلامي، وقد شهد خلالها الفتنة التي وقت بمدينة لاهور سنة 435هـ/1043م، والتي أسر فيها، والمرة الثانية ذهب إلى الهند بعد وفاة أبي سعيد بن أبي الخير سنة 440هـ/1048م الذي ذكر أنه زار قبره في ميهنة وأقام عليه ثلاثة أيام، وفي هذه المرة استقر نهائياً في لاهور حيث أمضى الفترة الأخيرة من حياته. وقد اختار لإقامته الجهة الغربية من المدينة، على مقربة من معبد للهندوس على نهر راوي، حيث يوجد مزاره الآن، وبنى في تلك البقعة مسجداً، كان يقوم بالتدريس فيه، ثم تخلى عن التدريس لأنه في نظره يبرز نوعاً من السمو والتعالى على الآخرين.

(1) عبد السلام عبد العزيز فهمي: دراسة حول غلام علي أزيد بلجرامي، ص 16.

(2) منى فراج: العلاقات الإيرانية الهندية، ص 106.

(3) إسعاد عبد الهادي قنديل: كشف المحجوب للهجويري، جمهورية مصر العربية، المجلس الأعلى

للشئون الإسلامية، الكتاب التسعون، 1394هـ/1974م، ص 7، 59، 61، 63.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

وقد قام الهجویری بدور كبير في الدعوة للإسلام، وأسلم كثيرون على يديه، وكان أولهم "راى راجو" نائب السلطان مودود في لاهور، وإتخذ لقب "الشيخ الهندي"، وأقام الهجویری في مسجده خانقاه، التف فيها مرديه حوله، وكان مجلسه يضم عدد كبير من غير المسلمين الذين لم يلبثوا أن يسلموا على يديه.

وقد ظل الهجویری يمارس نشاطه في الدعوة للإسلام حتى وفاته، واختلف المؤرخون حول تاريخ وفاته بين سنوات 456هـ، 465هـ، والفترة بين 465، 469هـ، وقد رجحت د. إسعاد قنديل أن تاريخ وفاته هو 465هـ/1072م، وقد ساق ذلك أدلة أهمها ما ذكره مفتى غلام الدين سرور صاحب خزينة الأصفياء، وهو مواطن لاهورى زار قبر الهجویری عدة مرات، وقرأ قطعة من الشعر مكتوبة على البوابة الداخلية للضريح تشتمل على هذا التاريخ.

ولا يزال قبر الهجویری قائماً في لاهور داخل ضريحه المعروف بمزار "داتا كنج بخش"، ويوجد حالياً في المنطقة القديمة بلاهور خارج بوابة "بهاتى" غربى القلعة. وقبر الهجویری مازال مزاراً لمئات الآلاف من الناس وموضعاً لعبادة الأولياء يتجهون إليه للاعتكاف فترة الأربعينية، ومازالت به الأماكن التي أختلى فيها قطب الهند "معين الدين الجشتى" والشيخ فريد الدين كنج شكر"، واشتهر قبر الهجویری لدى الهنود بتحقيق الحاجات، إذا طاف صاحبها بروضته أربعين ليلة جمعة، أو أربعين يوماً على التوالى، ويحتفل سنوياً بمولده حتى الآن في باكستان، ويمتد الاحتفال سبع ليالى⁽¹⁾.

وقد ألف الهجویری الكثير من المؤلفات في التصوف، والتي من أهمها "الديوان" و"منهاج الدين" و"كشف الفناء والبقاء" وكتاب في شرح كلام الحلاج و"البيان لأهل العيان" و"بحر القلوب" و"أسرار الخرق والملونات" وكتاب "الإيمان" و"الرعاية بحقوق الله تعالى" و"ثواقب الأخبار" و"كشف الأسرار" وللأسف فقدوا جميعاً، ولم يبق من مؤلفاته إلا كتاب "كشف المحجوب" الذى يعد آخر مؤلفاته، وهو من أقدم المؤلفات في التصوف المكتوبة باللغة الفارسية، وهو يعد أول كتاب منظم في الأصول النظرية والعلمية للتصوف،

(1) إسعاد قنديل : كشف المحجوب، ص ص 80، 87، 93، 94.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

وهو من المؤلفات القيمة في التصوف الإسلامي، مما جعل الجميع يتحدثون عنه بتقدير، فمما قاله "دار شكوه" عنه في "سفينة الأولياء": "كشف المحجوب، كتاب مشهور، ولا يستطيع أحد أن يعترض عليه، ولم يؤلف كتاب في التصوف باللغة الفارسية قيماً مثله"، كما نوه المستشرقون المعنيون بدراسة التصوف الإسلامي بقيمته، أما عن موضوع الكتاب فقد جاء إجابة على سؤال وجهه أحد مواطني الهجویری ويدعى أبو سعيد الهجویری أن يبين له أصول الطريقة ومقامات الصوفية وأقوالهم ومعاملاتهم، ويرجح أن الهجویری بدأ تأليفه في الفترة التي وقع فيها في الأسر في لاهور، وأكماله بعد ذلك بعد رجوعه غزنة وخراسان أو ربما بعد استقراره النهائي في الهند⁽¹⁾، ومن المؤكد أنه ألفه في أوائل القرن الخامس الهجري، ويعتبر كتاب كشف المحجوب نموذجاً قيماً لكتب التصوف التي ألفت بعده في القرن السادس الهجري، فهناك شبهة كبيرة بين الكتاب وبين كتاب "تذكرة الأولياء" لفريد الدين العطار من حيث المعاني والأسلوب، وأحياناً يوجد به عبارات كشف المحجوب مع تغيير قليل فيها⁽²⁾.

ويقدم الهجویری في كتابه صورة متكاملة عن التصوف، وهو يناقش الآراء التي يقدمها، وللمؤلف نزعة فلسفية واضحة، وهو يحاول التأليف بين الفلسفة والدين، وتقوم نظريته على مقولة الفناء، ولكنه لا يصل إلى الاندماج مع أصحاب وحدة الوجود، وهو يؤثر مع الجنيد حالة الصحو على حالة السكر، ويحذر المريدين من نبذ الشريعة، ويحثهم على الالتزام بالكتاب والسنة، رغم أن ذلك لا يستقيم مع دفاعه عن مدرسة الحلاج، واستعانته بالتأويل في ذلك، فالهجویری ينتمي لنفس المدرسة التي أنجبت أبا سعيد بن أبي الخير وفريد الدين العطار وجلال الدين الرومي⁽³⁾.

وعد الشيخ محمد فريد الدين العطار من أهم مشايخ الصوفية الذين زاروا الهند، وقد سافر إلى أماكن كثيرة من أهمها مشهد ومدن شمال إيران وما وراء النهر والهند والعراق

(1) إسعاد قنديل: كشف المحجوب، ص 98، 109، 112، 116، 117.

(2) رضا زاده: تاريخ الأدب الفارسي، ص 119، 120.

(3) عبد المنعم حنفي: الموسوعة الصوفية، ص 401، 402.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

والشام ومصر، وحج والتقى في رحلته بكبار مشايخ الصوفية وأخذ عنهم، ومنهم الشيخ نجم الدين كبرى، وتعلم الطب والصيدلة، وألف في آخر أيامه مثنويه المسمى "مظهر العجائب" مدح فيه علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والأئمة، فاعتبره أحد الفقهاء رافضياً وكفره، وأثار عليه المتعصبين والعامّة، ولكنه نجى من هذه الفتنة، وعاد إلى مسقط رأسه نيسابور حيث اعتكف آخر حياته، ولفريد الدين العطار مجموعة كبيرة من المؤلفات المثورة والمنظومة، ومن أهم مثنوياته الباقية: منطق الطير وإلهى نامه وأسرار نامه ومصبيت نامه وخسرو نامه ومظهر العجائب ولسان الغيب، وكلها في شرح عقائد الصوفية، ومن أهم مؤلفاته تذكرة الأولياء، في شرح أحوال مشايخ الصوفية، وقد أثرت أفكاره في من أتى بعده، وتوفي في سن السبعين في النصف الأول من القرن السابع الهجري، ودفن بشادايخ جنوبى نيسابور⁽¹⁾.

وكذلك الشيخ زين الدين مظفر بن روزبهان بن طاهر الربعى، من أولاد أمير المؤمنين عمر، فسوى المولد قرشى الأصل، من مشايخ الصوفية الذين جمعوا بين العلم والعمل، يقال له "سيّاح الآفاق"، فقد سافر إلى الحجاز والشام والعراق والهند، ثم استقر بشيراز واشتغل بالتدريس والوعظ، توفي سنة 603هـ / 1206م⁽²⁾.

ومن الصوفية الذين ظهروا في الهند، أبو وهب منبه بن محمد بن أحمد بن المخلص الفروانى الواعظ الزاهد، كان له معرفة بالتفسير، أخذ عنه الكثيرون منهم محمد بن إبراهيم القهستاني بسرخس، ومحمد بن محمد السانؤاجردى بمرو، ومحمد بن الحسن الغزنوى بحلب وغيرهم، توفي في حدود الخمسمائة⁽³⁾.

ومن أهم مشايخ الصوفية الذين زاروا الهند أبي عبد الله محمد بن خفيف بن إسفكشاد الشيرازى، ومما ذكره عنه السبكي في طبقاته الكبرى "شيخ المشايخ، وذو القدم الراسخ في

(1) رضا زاده: تاريخ الأدب الفارسى، ص 75:78.

(2) معين الدين أبو القاسم جنيد شيرازى (كه در سال 791 قمرى تأليف شده): شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار، تصحيح وتحشيه محمد قزوينى وعباس إقبال، طهران، جابخانهء مجلس، 1328 شمس، ص 227:230.

(3) السمعانى: الأنساب، ج4، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، 1988م، ص374.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

العلم والدين، كان سيداً جليلاً، وإماماً حفيماً...، من أعلم المشايخ بعلوم الظاهر، ومن اتفقوا على تعظيم تمسكه بالكتاب والسنة". وقال عنه أبو العباس النسوي: "بلغ ما لم يبلغه أحد من الخلق، في العلم والجاه، عند الخاص والعام، وصار أوحد زمانه، مقصوداً من الآفاق، مفيداً في كل فرع من العلوم... وصنف من الكتب ما لم يصنفه أحد". وكانت له أسفاراً كثيرة، ولقى العديد من العلماء ومشايخ الصوفية بها، وأخذ عنهم، فقد حدث عن حمّاد بن مدرك والنعمان بن أحمد الواسطي وجماعة، وصحب رويماً والجريري وطاهر المقدسي وأبا العباس بن عطاء، ولقى الحسين بن منصور، وكان من أعيان تلاميذ أبي الحسن الأشعري. وكانت له رياضات عالية لتصفية النفس، فقد ذكر عن التصوف أنه "تصفية القلب من موافقة البشرية، ومفارقة أخلاق الطبيعة، وإخاد أخلاق الطبيعة، وإخاد صفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله تعالى على الحقيقة، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الشريعة"⁽¹⁾.

وذكر ابن بطوطة زيارة الشيخ لقدم آدم عليه السلام في جزيرة سيلان، وقد لعب الشيخ دوراً في فتح الطريق للمسلمين لزيارة القدم⁽²⁾، وأقام فترة بالجزيرة يتعبد بها، فذكر ابن بطوطة انه كان يشقى في الجبل بقرية "قَلَنْجَة"⁽³⁾، وعمل على نشر الإسلام في الهند عن طريق المناظرة مع البراهمة، فقد أورد السبكي مناظرته لأحد البراهمة الذي قال له: إن كان دينك حقاً فتعالى أصبر أنا وأنت عن الطعام أربعين يوماً، فأجابه ابن خفيف، فعجز البرهمي عن إكمال المدة، وأكملها ابن خفيف وهو مسرور، كما عجز برهمي آخر عن مناظرته فدعاه

(1) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ط1، مطبعة عيسى الحلبي، 1965، ص149:151، 157.

(2) طبقاً لرواية ابن بطوطة كان كفار جزيرة سيلان يمنعون المسلمين من زيارة القدم ويؤذوهم، وعندما سافر الشيخ أبي عبد الله إليها قتلت الفيلة أصحابه، ولكنه نجا من بينهم وحمله الفيل على ظهره، فصار كفار جزيرة سيلان يعظمون المسلمين منذ ذلك العهد ويطمنون إليهم، ويعظمون الشيخ أبي عبد الله تعظيماً شديداً، ويسمون الشيخ الكبير. ابن بطوطة: تحفة النظار، ج2، ص132.

(3) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج2، ص132، 135.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

للمكوث معه تحت الماء مدة، فمات البرهمى قبل انتهاء المدة، وصبر الشيخ إلى أن انتهت، وخرج سالماً⁽¹⁾.

وعد الشيخ معين الدين الجشتى مؤسس الطريقة الجشتية في الهند من أهم مشايخ الصوفية الوافدين إليها، وهو الشخصية الفذة التي استطاعت بإخلاصها أن تنور ربوع الهند بنور الإسلام، ولذلك فقد أطلق عليه "أفتاب ملك هند"، يعنى شمس مملكة الهند.⁽²⁾ ولد الشيخ في سجستان سنة 536هـ/1141م من أب ثرى ذو نفوذ واسع، وهو الشيخ غياث الدين حسن، وهو ينتمى إلى السادة الأشراف الحسينيين، توفي ومعين الدين في الثانية والعشرين من عمره، ترك له بستاناً للفواكه، عمل فيه حتى التقى يوماً بالشيخ إبراهيم القندوزى، فامتلاء قلبه بالإشعاع الروحى، وباع بستانه، وزهد في الدنيا، ورحل في طلب العلم، فوصل إلى سمرقند حيث حفظ القرآن الكريم، وعكف على دراسة العلوم الظاهرة، ثم سافر إلى العراق حيث تشرف بزيارة الشيخ عثمان المارونى، وصحبه عشر سنوات، حتى استطاع أن يحظى بمكانة مرموقة بين الصوفية، وبدأ يسيح في الأرض يدعو الناس، واجتمع خلال رحلته بالعلماء، وانتفع منهم، ثم توجه إلى الهند، ولم يصحب معه من أصحابه إلا الشيخ قطب الدين بختیار الكعكى، وقد قدم إلى لاهور، ثم انتقل إلى الملتان، وأقام بها خمس سنين، تعلم خلالها اللغة الهندية⁽³⁾.

وتؤكد كتابات المؤرخين المتأخرين أن خواجا معين الدين الجشتى قد وصل إلى الهند، وأقام في أجمير في أوائل فترة حملات محمد الغورى على الهند، وهى الفترة الممتدة (571: 602هـ / 1175: 1205م)، وقد صحب الشيخ معين الدين السلطان محمد الغورى في غزواته، وخاصة في موقعة تارين، وقد ذكر كتاب حوليات هذه الفترة أن دعوات الشيخ المباركة كانت السبب في هذا النجاح المذهل.

(1) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص153.

(2) عبد المنعم حنفى: الموسوعة الصوفية " أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية"، ط 1، القاهرة، دار الرشاد، 1992، ص102.

(3) عبد الحليم الندوى: مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية، ص149، 150.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

وقد استقر الشيخ معين الدين في أجمير التي كانت عاصمة أباطرة شوهان، وهم ملوك شمال الهند، كما كانت أيضاً مكاناً مقدساً للحج عند الهندوس، ولذا فقد أختار الشيخ معين الدين أجمير كمركزاً للدعوة للإسلام.⁽¹⁾ وذكر الشيخ الكعكي عن أجمير قبل أن يقصدها الشيخ معين الدين: أنها كانت "مركز الهندوكية العظيم، ولم يكن بها مسلم ما، ولكن الوضع تغير بعد استقرار الشيخ معين الدين الجشتي بها، فقد أسلم على يديه رجال لا يحصون". وقد حاول حاكم أجمير الملك بتهورا أن يطرده منها، كما قاومه بالفقراء الهندوس، ولكنهم أسلموا على يديه، كما أسلم على يديه القديس الهندوكي الكبير "جى بال" الذي سماه الشيخ "عبد الله"، وأصبح بمثابة اليد اليمنى له.

وقد تأثر سكان أجمير بل سكان الهند عامة بالشيخ معين الدين الجشتي وتعاليمه، وأقبلوا إليه زرافاتاً ووحداناً، وأسلم على يديه مئات الألوف من الناس، وكان الهنادكة والمسلمون يحترموه ويتبركون به وبدعوته لتفريج كربهم. توفي الشيخ في أجمير 6 رجب 633هـ/1235 م، ودفن بها⁽²⁾، وضحيه من أهم أماكن الحج التي يقصدها المسلمون والهندوس على السواء للاحتفال بذكرى وفاته إذ يعتبر نقيب الأولياء المسلمين في الهند. وقد أقيم بناء ثابت تعلوه قبة صغيرة فوق قبره في عهد السلاطين الخلجيين، وعندما هزم الإمبراطور أكبر حاكم أجمير سنة 965هـ/1557م زار الضريح وأوقف عليه الأراضى والأملك، وقد بنت الأميرة جاهان آرا ابنة شاه جيهان المدخل الرئيسى للضريح⁽³⁾.

واستفاد من الشيخ معين الدين الأجميري كثير من الرجال، وحظي في حياته الكثيرون الرجال بمبايعته، ولكن لم يصل إلينا من قائمة خلفائه إلا ثلاثة أسماء، وهم الخواجه قطب الدين بختيار الكعكي الذي توفي في حياة شيخه، والشيخ بابا فريد الدين مسعود كنج شكر الذي أخذ البيعة من الشيخين الأجميري والكعكي، والشيخ أبو أحمد حميد الدين بن محمد

(1) Abul Hassan Ali Nadwi, Saviours of Islamic Spirit, vol III, Edited and Translated by Muhiuddin Ahmad, India, pp. 150:152.

(2) عبد الحليم الندوي: مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية، ص 151، 152.

(3) بطرس روفئيل: المسلمون في الهند، القاهرة، 1952، ص 49، 51.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

سروالى الناكورى الذى لقبه الشيخ الأجميرى "سلطان التاركين"، وقد عمر طويلاً حتى توفي 673هـ/1274م، وضحجه فى ناكور بولاية راجستان، وكان الشيخ الناكورى أول مولود للمسلمين بعد فتح دهلى على يد قطب الدين أيبك سنة 589هـ/1193م، وكان عالماً عارفاً صاحب مؤلفات هامة⁽¹⁾.

أما عن الشيخ قطب الدين بختيار الكعكى، فقد ولد فى "أوش" بتركستان سنة 583هـ/1188م، وهو ينتمى إلى الأشراف الحسينيين، توفي والده قبل أن يبلغ السنتين، فأشرفت أمه على تربيته وتعليمه، وأخذ العلوم الظاهرة والباطنية عن الشيخ أبى حفص فى بلده، وعندما أتى الشيخ معين الدين الجشتى إلى أوش أخذ البيعة منه، وقيل أنه ذهب إلى بغداد، واجتمع هناك بالشيخ معين الدين الجشتى وبايعه وأحبه وانقطع إليه، ففاز بعطفه وتوجيهاته، وبلغ مكانة رفيعة فى التصوف، وتولى الدعوة والوعظ فى دياره. وصحب شيخه فى رحلته إلى الهند، وبعد مدة يسيرة أرسله الشيخ الجشتى إلى دهلى فى عهد السلطان شمس الدين التتمش الذى قابله بحفاوة بالغة، وأقام بقرية "كيلو كهيرى"، وكان السلطان يزوره مرتين فى الأسبوع ولا يخالفه فى شئ، وأراد السلطان تعيينه محل شيخ الإسلام فى دهلى الذى توفي، ولكنه رفض فعين السلطان الشيخ نجم الدين الصغرى الذى حقد على الشيخ الكعكى لب وتبجيل أهل دهلى له، وشكى ذلك للشيخ الجشتى عندما زار مريده الشيخ الكعكى فى دهلى، فأمر الشيخ الجشتى الكعكى أن يرافقه إلى أجمير، وخرج لوداعه أهالى دهلى والسلطان التتمش، وهم يبكون ويتضرعون فأعادته الشيخ الجشتى إلى دهلى، وظل يرشد الناس للخير حتى توفي بها سنة 633هـ/1235م، وصلى عليه السلطان التتمش، ودفن فى قرية "دمهرولى" المجاورة لدهلى قرب منارة قطب، ولا يزال ضريحه هناك يؤمه الناس، وخاصة لإحياء ذكرى وفاته، حيث يقام احتفال كبير سنوياً يحضره الناس من كل الأديان فى الهند⁽²⁾، وكانت العادة الجارية فى دهلى أنه إذا فاز أحد بخلعة أو منصب توجه لزيارة ضريح الشيخ الكعكى للتبرك

(1) نثار أحمد الفاروقى: الشيخ معين الدين السجزي الأجميرى فى ضوء التاريخ، ثقافة الهند، مج 41، ع 3، 1990، ص 57.

(2) عبد الحليم الندوى: مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية فى الهند، ص 153:156.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

به، وظلت هذه العادة طوال عصر سلطنة دهلي والعصر الذي تلاه⁽¹⁾، وكانت سبب تسميته بالكعكى أنه إذا أتاه المدينين أو من يحتاجون لزواج بناتهم يعطيهم كعكة من الذهب أو الفضة ولذا عرف بالكعكى⁽²⁾.

ويرجع انتشار الطريقة الجشتية في الهند لسببين هامين: أحدهما أن شيوخها وأتباعها لم يرتبطوا برجال الحكم والسلطة، وإنما أقاموا علاقات عميقة مع طبقات الجماهير وخاصة من المنبوذين، فقلما يشفعوا لأحد لدى الملك، ولكن عملوا على الدعاء وإصلاح أحوال المساكين والمعوزين، كما أن مشايخ الطريقة الجشتية اجتنبوا في البداية التأليف، لأنهم اعتقدوا أن التصوف عمل كله، وذلك هو سر نجاحهم في تعميم رسالتهم. ومما ورد في ذلك في كتاب "فوائد الفواد" أن شاباً مسلماً ذهب يوماً بزميل له هندوكى إلى الشيخ نظام الدين أولياء، وقدمه للشيخ قائلاً: هذا أخى، فسأله الشيخ هل لأخيك رغبة في الإسلام أم لا؟ فقال الشاب: إننى جئت به إلى حضر تكم لكى يصبح مسلماً بفضل نظرتكم العظوفة، فاغوروقت عينا الشيخ، وقال: إن هذا الفتى لا يفيد المقال، ولكن إذا حصلت له صحبة صالح تقى يرجى أن يكون مسلماً بفضل وبركته، وقد امتدت زوايا شيوخ الجشتية إلى القرى والأرياف الصغيرة النائية، واتخذت موقعها في قلوب الجماهير، ولم يعتزل الشيوخ في زواياهم طلباً للنجاة الفردية، بل ربطوا أنفسهم بقضايا العصر الاجتماعية، ولم يقبلوا على الملوك و ثروات الدنيا، إنما مثلوا الفقراء والمساكين، ولذا كانت زواياهم تغص بالمعوزين⁽³⁾.

وكان الشيخ العلامة رضى الدين الصاغانى (ت 650هـ/1252م) معاصراً للشيخ معين الدين الأجميرى، وكان من العلماء البارزين، لا يدانيه أحد من معاصريه في الحديث والفقه واللغة، وقد أدرك الشيخ الصاغانى أن العلوم الظاهرية للدين لا تمثل إلا مظهر الإسلام، وأن التعاليم الإسلامية الصحيحة هى تلك التى تظهر في سلوك الصوفية وأعمالهم، وهى التى كانت سبب في نشر الإسلام في الهند، ووحدت بين القلوب، ولذا فقد اتخذ

(1) عادل رستم: مظاهر الحضارة الإسلامية في عصر سلطنة دهلي، ص 358.

(2) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج 2، ص 18.

(3) نثار أحمد الفاروقى: الشيخ معين الدين السجزي الأجميرى في ضوء التاريخ، ص 49، 50.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

الصاغاني مظهر ودعوة الصوفية في مناطق غير المسلمين، فقد ورد في كتاب " سرور الصدور ونور البدور"، وهو مخطوط بمكتبة حبيب كنج بعليجره، أن الإمام الصاغاني عندما وصل إلى مدينة ناكور ألح عليه رجل منها أن يعلمه علم التصوف، فقال له: إنه لا يتوفر لي هنا الفرصة، لأن الناس يجتمعون لدى من أجل أخذ الحديث، وإذا كنت ترغب في تعلم التصوف فلترافقني، فحين نصل إلى مناطق غير المسلمين حيث لا يتزاحم على طلاب الحديث والفقهاء سأعلمك علم التصوف بهدوء وطمأنينة، وانطلقا وتوجها من ناكور إلى جالور، فلما وصلا حدود الكجرات خلع الصاغاني ملابس العلماء من عمامة كبيرة وقميص واسع الكمين، وارتدى ملابس الصوفية من قميص قصير الكمين وقلنسوة على رأسه وقبقاب، وحمل كوباً من الخبز لشرب الماء، وبدأ يقطع سفره، وهو يصلي ويتطوع، ولما مر على ذلك عدة أيام قال له طالب التصوف: سيدي كنت قد وعدتني أن تعلمني التصوف فرافقتك تاركاً وطني وأهلي، لكنك لم تعلمني حتى الآن شيئاً، فقال الصاغاني: إن علم التصوف "حال" وليس "مقال"، فلتعبد مثلما أعبد ولتعامل الناس كما أعاملهم فذلك هو التصوف⁽¹⁾.

وقد اعتنقت القبائل الأفغانية "الشوريانيين" و"الخوشجيين" الفاطنين حول بيشاور وقصر - قرب لاهور- الطريقة الجشتية بإخلاص، وأول صوفي ظهر من هذه القبائل هو "وتو بن خلف خوشجى"، وتبعه أخواه حسين وخلف، وقد زار وتو العديد من الصوفية للبحث عن شيخ روحى يقدي به، وأخيراً أصبح من مريدى الشيخ معين الدين الجشتى في جشت التي ظل بها حوالى أربعين سنة، وقبل موت خواجا معين الدين الجشتى سنة 577هـ/1181-1182م عين وتو خليفة، وأمره أن يعود إلى دياره، وبعد أن قضى عدة سنوات في مقبرة شيخه عاد إلى بيشاور، وقد رفض الأفغان في البداية أن يقبلوه كشيخ، ولكن كراماته ما لبثت أن أقنعتهم بورعه، فأصبح كثير من رجال القبيلة من مريديه، وبات يعرف

(1) نثار أحمد الفاروقى: الشيخ معين الدين السجزي الأجميري في ضوء التاريخ، ص 51.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

بالشيخ الكبير، واستمر الأفغان الخوشجية في اتباع الطريقة الجشتية بإخلاص حتى بعد موته تحت تأثير نجاحه الروحي⁽¹⁾.

وقد التزم الصوفية المسلمون في الهند في بداية أمرهم بتعاليم الدين الإسلامي، فقد سأل أحد الدراويش الشيخ معين الدين الأجميري عن الأمور التي لا بد أن توجد في الزاهد والتارك للدينا، فقال الشيخ: أما عن الشريعة فكل من عمل بما أمر به الله وانتهى عما نهى عنه فهو يستحق أن يدعى تاركاً، وأما في الطريقة فهناك تسعة أمور أخرى لا بد أن توجد في الرجل حتى يكون تاركاً، ثم طلب من الشيخ الناكوري أن يخبره عن التفاصيل المتعلقة بالترك، فلخصها له كالآتي: أولاً أن لا يقوم بالكسب، ثانياً أن لا يقترض، ثالثاً أن لا يستعين بأحد، رابعاً أن لا يبقى شيئاً للغد، خامساً أن لا يدعو على أحد ضايقه إلا بالهداية فحسب، سادساً إن صدر منه عمل صالح فيعتبره من عناية شيخه وشفاعة الرسول (ﷺ) ورحمة الله تعالى، وإن صدر منه عمل سيئ فليعتبره من شؤم نفسه، ويبعد عن السيئات بخشية الله، سابعاً وإذا أتم ذلك فليصم نهاره ويقم ليله، ثامناً أن يلتزم الصمت إلا للضرورة، وقد لخص بذلك خلاصة سلوك صوفية الطريقة الجشتية⁽²⁾.

وكان مشايخ التصوف يعلمون مرديهم طريق التصوف والسلوك، ويلقنهم دروس الأخلاق ونصائح الدين عن طريق عقد مجالس الوعظ، وكثيراً ما يجمعها في كتاب. في أغلب الأحيان بعد وفاتهم. من مرديهم من حفظها عن ظهر قلب أو دونها، فقد جمع الشيخ فريد الدين شكر كنج أقوال الشيخ الكعكي في صحيفة سماها "فوايد أنحاء السالكين" تضمنت ما دار في مجالس الشيخ، وهو كتيب من 36 صفحة، ومن أهم نصائح الشيخ التي وردت به عدم الإسراف في المأكل والملبس، وتجنب زخارف الدنيا لطالب التصوف، وأن يتمسك بأوامر الله، ويمتنع عن نواهيه⁽³⁾.

(1) Saiyid Athar Abbas Rizvi, A History of Sufism in India, vol. 11, New Delhi, 1983, p.292,293.

(2) نثار أحمد الفاروقى: الشيخ معين الدين السجزي الأجميري في ضوء التاريخ، ص 60.

(3) عبد الحليم الندوى: مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، ص 156، 157.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

ويركز الجشتية في ذكرهم على الشهادة، ويترنمون في صلاتهم، ويلبسون الثياب المصبوغة بلحاء شجر السنط، ومن شعائر الدخول في الطريقة أن يصلى المرید ركعتين، ثم يتعهد بالتوبة، ويلقن مبادئ التصوف، ثم يطلب إليه أن يلزم أحد الأضرحة صائماً أربعين يوماً، تعرف باسم "جله كشي"، ثم يلقن حدود الطريقة، ويجرم عليه من بعد ذلك تعاطى المسكرات والمخدرات⁽¹⁾.

وبعد فترة طويلة من انتشار التصوف الإسلامي في الهند عقب الفتوحات الإسلامية بدأ الصوفية في التأثير بالحياة والعقائد الهندية، وأخذت جذوة الإيمان تحمداً، وأصبحوا على استعداد لتقبل الأفكار والعقائد الغربية⁽²⁾، فتأثر المشايخ الصوفية المسلمون بتعاليم المتصوفة من البراهمة فنشأ فيهم القائلون بنظريات وحدة الوجود والحلول ورياضاتهم المخالفة للدين الإسلامي، فتكدر التصوف الإسلامي بالبدع والعادات الوثنية⁽³⁾، فقد وضعوا لأنفسهم شارات وعلامات واتخذوا أطول ودقوف، وخلطوا ذكر الله تعالى والصلاة على الرسول (ﷺ) بقرع الطبول والضرب بالسيوف والسهام في بعض أجزاء الجسم، والقيام بحركات غير متوازنة أثناء الذكر، كإدخال النار في الفم، والتعذيب الجسدي، والإيهام بالقدرة على فعل الخوارق، وتلطخ الجسم بالدماء وشربها، والرقص في حلقات الذكر، مما أدى إلى فتنة الناس بهم وفساد المجتمع⁽⁴⁾، ولا ريب أن التسول الذي شاع بين متصوفة الإسلام قد نقل عن البوذيين بطريق مباشر أو غير مباشر.

وقد ازدهر التصوف في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي حتى كثر إنشاء التكايا وغيرها من المنشآت الصوفية، وظهرت في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي الطرق الصوفية، وساء حال التصوف في هذا القرن حتى قيل في وصفه: "كان التصوف حالاً فصار كاراً، وكان احتساباً فصار اكتساباً"⁽⁵⁾.

(1) عبد المنعم حنفي: الموسوعة الصوفية، ص 103، 104.

(2) إسماعيل العربي: الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص 74.

(3) مسعود الندوي: نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند والباكستان، ص 18.

(4) محمود عرفة: النظم السياسية والاجتماعية بالهند في عهد بنى تغلق، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية 18، الرسالة 128، 1418هـ / 1998م، ص 64.

(5) حامد عبد القادر: بوذا الأكبر حياته وفلسفته "وبه فصل في الموازنة بين الإسلام والبوذية وآخر في البوذية والتصوف"، نهضة مصر، 8 قادة الفكر في الشرق والغرب، (د.ت)، ص 159.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

ومن أوجه التشابه بين التصوف الإسلامي والتصوف الهندي ما أكدت عليه الديانة الهندوسية من العلاقة بين الأستاذ والتلميذ، كما أصر أكثر الصوفية على الاهتداء بمرشد في سبيل الوصول إلى الغاية⁽¹⁾، ولذلك فرغم تنديد الإسلام بطبقة المشيخة، نمت هذه الطبقة نمواً ظاهراً في الهند، كما أظهروا شغفاً ملحوظاً بإقامة الطقوس والشعائر الدينية، وتقديس الأولياء وقبورهم، وهكذا كادت عادات المسلمين في الهند تطابق العادات الهندوسية الدينية، ويشترك كلا المسلمين والهندوس في الحفلات الدينية⁽²⁾.

وقد أدى ظهور الصوفية المسلمون في مختلف أقاليم الهند إلى تطور في أساليب العبادة الهندية، وظهور الفرق المختلفة بهذه الديانة، كما نتج عن وجود أولياء الله بالهند وكذلك القديسون من الهندوس أن ازدهرت ما تشبه السياحة الدينية، وكانت تشمل زيارة الأماكن المقدسة والأضرحة، حيث كانت تقام الموالد سواء إسلامية أو هندوسية، وهي كثيرة لكثرة أضرحة الأولياء والقديسين، وكثرة المناسبات والأعياد، وكان المسلمون والهندوس يشتركون في هذه الموالد معاً. وبقاء الأعياد الوثنية الهندوسية والبوذية والجينية وتأثيرها في المجتمع الإسلامي دليل على التسامح الديني للمجتمع الإسلامي، وعلى حدوث الامتزاج في العادات والتقاليد حتى يمكن أن نطلق عليها عادات هندو- إسلامية⁽³⁾.

وقد انتشر الإسلام في إندونيسيا عبر الهند، وقد كان من أهم عوامل انتشاره بها ما تميز به من غلبة العنصر الصوفي الذي كان بارزاً في الإسلام الهندي خلال العصور الوسطى، فلقى ميلاً وقبولاً من العقلية الإندونيسية. فقد انتقل إليها قبل الإسلام عبر الهند تعاليم البوذية، وقد مهد ذلك لانتشار التصوف الإسلامي في إندونيسيا⁽⁴⁾.

ثانياً: مظاهر التأثير والتأثر بين المسلمين والهندوس :

لقد كان وصول الإسلام إلى الهند أكبر تأثير خارجي على الثقافة والمجتمع الهندي، فقد تعودت الهند عبر تاريخها الطويل أن تمتص التأثيرات الأجنبية التي تأتيها وتستوعبها الثقافة الهندية الغنية، ولكن الإسلام هو الذي امتص هذه الثقافة وجعل منها عنصراً من عناصر ثقافته الحية إلى جانب الثقافات اليونانية والفارسية وغيرها، ومع ذلك لم يفقد الإسلام شيئاً

(1) عادل رستم: مظاهر الحضارة الإسلامية في عصر سلطنة دهلي، ص 344.

(2) همايون كبير: المسلمون في الهند، ثقافة الهند، مج 6، ع 3، سبتمبر 1955م، ص 13.

(3) عادل رستم: المرجع نفسه، ص 344، 345.

(4) جى. ئى. كرونياوم: الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، ص 417، 418.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

من أصالته، كما أنه لم يفرض قانونه على الجميع⁽¹⁾، ومع ذلك فقد كان له تأثيراً كبيراً على الهند لم يتأت لأى من فاتحيها، فقد استطاع على مدى سبعة قرون أن يغير فريق كبير من الهنود دينه ولغته، وبظل هذا التغيير بعد زوال السيادة الإسلامية⁽²⁾.

ومن الناحية الظاهرية فإن مظاهر عدم الائتلاف العقائدى بين الهندوكية والإسلام تظهر بوضوح صارخ أكثر من الأشياء المتشابهة بينهما، فالهندوكية بتعدد آلهتها تمثل تضاداً لوحداية الإسلام أكثر من أى ديانة أخرى في العالم، ويعتبر الهندوس عبادة الأوثان وتقديم القرابين وتقديس البقرة أساس إيمانهم في حين يعتبر الإسلام ذلك من المحرمات، ومع ذلك فقد ظهر توافق تام بين هاتين الحضارتين، والذي أثبتته طول مدة تعايشهما الوثيق.

فقد كان الإسلام مرناً لاستيعاب أفكار جديدة للبلاد البعيدة التي فتحها، وقد ساعدت العادات المحلية على تحويل الفقه لما يلائم ظروفه، وبذلك فقد كانت حقيقة الإسلام ثابتة، ولكن فهم الإنسان لهذه الحقيقة اختلف من ولاية إسلامية لأخرى، وبذلك أصبح للحضارة الإسلامية خصوصية في كل قطر، أما الهندوسية فيرجع طول عمرها لتقبلها للاختلافات، وقدرتها على تحمل ما لا تستطيع هزيمته⁽³⁾، وقد ذكر ول ديورانت أن المعجزة في عدم خضوع الإسلام في الهند للهندوسية، "فبقاء هذه الديانة الموحدة على بساطتها وصلابتها، وسط ألوان متشابكة من الديانات التي تذهب إلى تعدد الآلهة، دليل يشهد على ما يتصف به العقل الإسلامى من رجولة، وحسبنا لكى نقدر عنف هذه المقاومة وجسامة هذا المجهود أن نذكر كيف تلاشت البوذية في البرهمية، فإنه المسلمون له اليوم سبعون مليوناً من عباده في الهند"⁽⁴⁾.

وقد مر دخول المسلمين الهند بدورين أساسيين:

(1) إسماعيل العربى: الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص33.

(2) جوستاف لوبون: حضارة الهند، نقله إلى العربية عادل زعير، ط1، دار إحياء الكتاب العربية، 1948، ص217.

(3) Stanley Wolpert, India, Prentice Hall, Inc, New Jersey, p.49,50.

(4) ديورانت، ول: قصة الحضارة، ج3، الهند وجيرانها، ترجمة زكى نجيب محمود، (بيروت، دار الجيل: تونس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (د.ت)، ص407.

أولاً: الدور العربي، وفيه اتصل الهنود بالثقافة العربية الخالصة وأثروا فيها، وقد استمر هذا الدور منذ فتح محمد بن القاسم لها حتى النصف الأول من القرن الرابع الهجري، حيث بدأ الدور الطوراني أو الأفغاني التركي.

ثانياً: الدور الطوراني، وفيه حمل الأتراك والأفغان المؤثرات الإسلامية إلى شمال الهند كله، وتدفع العنصر التركي إلى الهند، واتصلت الهند بآسيا الوسطى اتصالاً وثيقاً، وتأثروا بالأتراك في تعصبهم للسنة، وتبنيهم الثقافة الفارسية الجديدة في عصر الإحياء، وتشجيعهم للتصوف. وقد طالت إقامة الأتراك والأفغان في الهند، وبدءوا يتكون احتكاكاً واسعاً بصميم الحياة والفكر الهندي. وفي هذا الدور لم يعد للهند الإسلامية دوراً تؤديه خارج حدودها كما في الدور العربي، وإنما أصبحت عملية الامتزاج بين الحضارتين الإسلامية والهندية تتم في أرض الهند نفسها، وبمرور الوقت بدأت الهند تطرح عزلتها، وبدأت مقومات الاختلاط بين الثقافتين تأخذ طريقها تمهيداً لظهور ما يمكن تسميته بالحضارة الهندية الإسلامية. وبدأ هذا الدور بفتوحات محمود الغزنوي، واستمر حتى توطن الحكم المغولي في الهند في النصف الأول من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي⁽¹⁾.

وكان تدفق المسلمين إلى الهند نتيجة موجات من الفتوحات، وقد تعرضت كل مجموعة من الفاتحين لمؤثرات هندية عند استقرارهم بها، وقد عد الفتح العربي فتحاً ثقافياً للهند، على عكس باقي الفاتحين الذين كان أكثرهم أتراك وأفغان حديثي العهد بالثقافة الإسلامية، فلم يكن من المستطاع تأسيسهم للثقافة الإسلامية في الهند لأنهم كانوا أقل مدنية من الشعوب التي فتحوها، وقد اقتنعوا في البداية أن يحتفظوا بثقافتهم العربية الفارسية التي ورثوها، ولم يحاولوا فرضها على الهند، ولم يستفيدوا من تراثها الغني، فقد كانوا حديثي العهد بثقافتهم العربية الفارسية، ولم يتشربوها بعد، وكان لديهم حرارة وحمية للإسلام لحدائث دخولهم فيه، ولذا بقوا لفترة طويلة في عزلة عن المجتمع الهندي، ولكنهم أخذوا تدريجياً يندمجون ببطء في الحياة الهندية. أما العرب فكانوا مقتنعين بسمو ثقافتهم الخاصة، وكانت لهم طريقة حقيقية للفتح الثقافي للبلاد بتشرب جزئي لبعض عناصر الحضارة المحلية ودمجها في الثقافة

(1) حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى، ص 218، 234.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

الإسلامية مع فرض بعض عناصر الثقافة الإسلامية على أهل البلاد المفتوحة، والتي من أهمها اللغة والخط العربي⁽¹⁾، ولو تمكن العرب من فتح الهند لكان حالها مثل مصر التي ذابت تماماً في الحضارة الإسلامية، ونسى أبناء الفراعنة ماضيهم التليد، ولكن في الهند تأثر المسلمون والهندوس ببعض بالتساوى تقريباً، ونتج عن ذلك حضارة جديدة هي الحضارة الهندية الإسلامية⁽²⁾، فأصبح للمسلمين والهندوس في الهند خصائص كثيرة مشتركة، وعادات وطرق في المعيشة مشابهة - خاصة في الهند الشمالية - وكذلك في الفنون والعمارة والعادات والتقاليد⁽³⁾.

واختلفت نسبة الاندماج بين الثقافتين الهندية والإسلامية في المدن عنها في القرى، فقد استطاعت الطبقة الأرستقراطية الإسلامية في المدن على قلة عددها أن تعطى للثقافة المدنية طابعها ولونها، ولكن الأوضاع اختلفت في المناطق الريفية، فمع صعوبة المواصلات تمكنت الوحدات المحلية من الاحتفاظ ببعض الاستقلال، بالإضافة إلى جمود النظم الاجتماعية في المناطق الريفية، مما أدى إلى وقوع المسلمين في الريف تحت ضغط النظم الاجتماعية الهندوكية، ولذلك ظل الهندوس الذين تحولوا إلى الإسلام محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم⁽⁴⁾.

وقد أحدثت الغزوات المتكررة التي قام بها محمود الغزنوي ردود فعل نفسية قوية بين أفراد الشعب الهندي ملأتها بالمرارة⁽⁵⁾، حتى ساد الاعتقاد بينهم أن المسلمين نجس لا يمسونهم، ومن إرتد منهم إذا وقع في أسر المسلمين عليه التطهر بحلق شعر رأسه كله ويجلد، ثم تجمع أبقوال البقر وأخثاءها وسمنها ولبنها فيسقى منها أياماً ثم يسجد للبقرة⁽⁶⁾، ويذكر البيروني أن الأمر وصل بالهندوس أن أصبحوا يخوفون أولادهم بالمسلمين لتباينهم في الزي والعادات، بل وينسبونهم إلى الشيطنة⁽⁷⁾، وبذلك فقد عزل الهنود أنفسهم وقبعوا أسرى

(1) هاماون كبير: المسلمون في الهند، ص 9:7.

(2) جوستاف لوبون: حضارة الهند، ص 417.

(3) جواهر لال نهرو: اكتشاف الهند، ص 161.

(4) هاماون كبير: التراث الهندي، الهند، بمباي، مجلس الهند للروابط الثقافية، 1959، ص 123، 124.

(5) جواهر لال نهرو: اكتشاف الهند، ص 145.

(6) مطهر بن طاهر المقدسى (ت 507هـ): البدء والتاريخ، مج 2، ج 4، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، ص 12.

(7) البيروني: تحقيق ما للهند، ص 18.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

مجمعهم التقليدي، وبدوا غير عازمين على الامتزاج بالمسلمين، كما لم يحاول الحكام المسلمون لفترة طويلة إزالة الهوة بين المجتمعين الإسلامي والهندي، وبمرور الوقت بدأ الحكام المسلمون يبدون تسامحاً تجاه الهنود، وينبذون سياسة التمييز في اختيار الموظفين، مما أدى إلى إقبال أبناء الطبقة الوسطى الهندية على تعلم اللغة الفارسية لغة البلاط والإدارة، ليتولوا المناصب الإدارية والمالية، وإن ظل آخرون على غير ثقة بالحكام لكنهم أقاموا علاقات وطيدة مع عامة المسلمين، وخاصة بعد استقرارهم في الهند واتخاذها وطناً لهم، ولا ننسى الدور الكبير الذي قام به العلماء والدعاة والصوفية لإزالة الحواجز بين المجتمعين⁽¹⁾، وقد أورد السير جون مارشال ذلك في كتابه "تاريخ الهند" ويتضح على أى حال أن الغزوات التي جردها تيمورلنك ومحمود الغزنوي لم تكن ليحسب لها أن تؤتى ثمرات ثقافية ملموسة أو تترك آثاراً كبيرة دائمة لنفوذه، إن هذه الصلات لم تدم طويلاً، ولم تهباً فرص إقامة علاقات وثيقة بين سكان البلد والزوار غير المرغوب فيهم من الشمال، بل بدأت الاتصالات الحقيقية عندما بدأ المسلمون يستوطنون البلاد على إنها موطنهم الثاني⁽²⁾."

تأثر الهندوس بالتوحيد الإسلامي :

كان هناك تلاقى في الشئون الدينية بين الطرفين المسلم والهندوسي، ففي المقام الأول ظل الهندوس محافظين على الممارسات والطقوس القديمة وإن لم يعتنق الكثير منهم الإسلام بالكامل، بينما المسلمون على الجانب الآخر لم يفروا من تأثير الطقوس الدينية وفلسفات الهنود، وثانياً فإن توحيد الإسلام هو الذى أعلن عن عقيدة عبادة الإله الواحد والتي كان لها تأثير على النظام الديني الهندوسي⁽³⁾.

فقد تركت وحدانية الإسلام الصارمة أثرها في الهندوسية⁽⁴⁾، وكان لتحطيم المسلمون كثير من أصنام الهندوس ومعابدهم أثراً كبيراً في زعزعة إيمانهم، وإن عد ذلك خسارة كبيرة

(1) طلعت محمد أبو فرحة: أضواء على الدور الحضارى لباكستان حتى القرن التاسع الهجرى، مجلة كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، ع13، 1406هـ / 1986م، ص192.

(2) مجهول: آثار الإسلام الثقافية في الهند، ثقافة الهند، ص3.

(3) Beni Prasad, Indias Hindu-Muslim Questions, London, p. 17, 18.

(4) جواهر لال نهرو: اكتشاف الهند، ص151.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

للاثار الفنية، إلا أن الهندوس أنفسهم يعترفون أن عقيدة التوحيد كانت الدافع لذلك، وليست الرغبة في التدمير، وكانت النتائج الإيجابية لذلك أنها أيقظت عقول الهندوس، وأرغمتهم على إعادة التفكير في عقائدهم التي طغت عليها الوثنية والخرافات، مما أدى إلى ظهور تيارات إصلاحية متأثرة بالإسلام، تطالب بالرجوع إلى أصول كتبهم المقدسة⁽¹⁾.

وغالبية المثقفين في الهند يؤمنون بإله واحد، وفي ذلك يذكر البيروني " واعتقاد الهند في الله سبحانه أنه الواحد الأزلي من غير ابتداء ولا انتهاء المختار في فعله القادر الحكيم الحي المحي المدبر المبقى الفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء⁽²⁾، " وورد في كتاب باتانجل الذي ترجمه البيروني، وهو يتضمن خلاصة الديانة الهندية، مقولة تؤكد ذلك " قال السائل: من هذا المعبود الموفق؟ قال المجيب: هو الله المستغنى بأزليته ووحدانيته عن فعل المكافأة عليه براحة تؤمل وترتجى أو شدة تخاف وتقصى، والبريء عن الأفكار لتعالیه عن الأضداد المكروهة والأنداد المحبوبة، والعالم بذاته سرمداً... " يعنى أن هذا الإله لا يفعل فعلاً يستحق فاعله الثواب والعقاب، وهذا القول بديهي في الدين الإسلامي، ثم وصف الإله بأوصاف تشبه صفات الله في دين التوحيد، ولكن الفرق بين هذا الإله والإنسان عندهم الزمان وليس الذات، وهذا يختلف تماماً عن العقيدة الإسلامية⁽³⁾.

وقد انجرفت العقيدة الهندوسية إبان ظهور المسلمين بعيداً عن نقاء المذهب الأصلي، واستعيص عنها بأشكال وثنية مختلفة للعبادة، ولكن ظهر تأثيرها بالإسلام بعد ذلك واضحاً، فرغم احتفاظ الهندوس المستقيمون حتى اليوم بالأوثان في معابدهم، فإن نظرهم إلى عبادة الأوثان تختلف كلية عما كانت عليه من قبل، فالمثقف منهم يصرح أن الأصنام يقصد بها المساعدة على تركيز الفكر، وأن أولئك الذين يتراءى لهم أنهم يعبدونها هم في الحقيقة إنما يعبدون الخالق⁽⁴⁾.

(1) إسماعيل العربي: الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص 52.

(2) البيروني: تحقيق ما للهند، ص 23.

(3) ا. هـ . ريتر: كتاب باتانجل لأبي الريحان البيروني، مقال ضمن كتاب: المتقى من دراسات المستشرقين، دراسات مختلفة جمعها ونقلها إلى العربية صلاح الدين المنجد، ج1، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1955، ص ص 64:67.

(4) مجهول: آثار الإسلام الثقافية في الهند، ثقافة الهند، ص 5.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

وقد أثر الإسلام على براهمة هندوس البنجاب بعدم التمسك كثيراً بالعقيدة الهندوكية، كما هو حال إخوانهم في سائر الهند⁽¹⁾، كما يظهر تأثير الإسلام في طقوس أتباع الطائفة الهندوكية التي يطلق عليها اسم "الفشنية"، ومن شعائرها الرئيسية إنكار جميع آلهتهم الهندوكية عدا "فشنو"، كما تأثروا بالمسلمين بعادة دفن الموتى بدلاً من إحراقهم، واتخذوا اسم "غلام محمد" وغيره من الأسماء الإسلامية، واستعملوا ألقاب المسلمين، وفسروا انتهاكهم هذه العادات الإسلامية أنها للتكفير عن قتلهم قاضياً مسلماً تدخل في طقوسهم الخاصة بإحراق الأرمال، فكفروا عن خطيئتهم باعتناق الإسلام، ويبدو أن اعتناقهم للإسلام لم يكن قوياً، وخالطه كثير من الأفكار والعادات الهندوكية، وقد رفضوا الآن إقامة هذه الشعائر مراعاة للعادات الهندوكية⁽²⁾، كما تأثرت فرقة هندوسية أخرى بتعاليم الإسلام، وهي تدعى "انكايت"، وهم معروفون بشدة قوتهم وأخلاقهم الطيبة وأغلبهم موجودون في بلكرام وبيجابوره وهاروالراو في ولاية ميسور، ويظهر أن التأثير الإسلامي قد احتل مكاناً بارزاً في عقيدتهم، فقد نادوا بإلغاء الطبقات، وأن العابد الحقيقي هو الذي يحتل مكاناً كريماً لديهم، وهذا يطابق ما جاء في القرآن الكريم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾⁽³⁾، ومن أفضل الأمثلة على الفئات الدينية التي ظهرت في جنوب الهند نتيجة التأثير المبكر للإسلام هناك هما اللنفايات والسدهار⁽⁴⁾.

وأهم التيارات الفلسفية الدينية التي ظهرت في الهند نتيجة تأثير الفكر الهندوسى بالإسلام هي بلا شك فلسفة "الفيدانتا" التي أحيها شانكرا والتي تقوم على وحدة الوجود، أى وحدة الخالق والمخلوق، لأن المخلوق (العالم الظاهري) الذي يسميه شانكرا "مايا" إنما هو مجرد وهم، وأما برهمان الذي هو الوجود المطلق والعلم المطلق فهو الحقيقي والخالد، والكون ليس حقيقياً، و"أرتمان" وبرهمان شئ واحد، وانتشرت هذه الفلسفة انتشاراً واسعاً

(1) جوستاف لوبون: حضارة الهند، ص 130.

(2) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص 224.

(3) الحجرات / 13. محمد يوسف النجرامى: العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية، ص 158.

(4) سيد مقبول أحمد: العلاقات العربية الهندية، ص 49.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

لا في الهند وحدها بل وفي الخارج أيضاً، وقبل وفاة شانكرا سنة 205هـ / 820م، قام بجولة واسعة في مختلف أرجاء الهند لبث آرائه ونشر تعاليمه⁽¹⁾.

ويظهر تأثر شانكرا. أعظم مهندس ساهم في بناء الهندوسية الحديثة. بالإسلام، فيوجد في فكره ثورة ضد الشرك وتعدد الآلهة ودعوة للتوحيد المطلق، ومحاولة تأسيس هذا التوحيد على كتاب منزّل، وقد ولد شانكارا 173هـ / 788م في الوقت الذي دخل فيه ملك كالادى - في ساحل المليبار وهو المكان الذي ولد فيه شانكارا- في الإسلام⁽²⁾ وبذلك فقد ولد شانكارا في المليبار التي كانت المنطقة الأولى التي اصطدمت بالإسلام، ولذلك ظهر تأثره بالإسلام في صياغة تعاليمه.

وبذلك كان جنوب الهند في الفترة (القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي: القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) مركزاً هاماً لحركات الإصلاح الديني، وكان شمال الهند مركزاً للنشاط الديني حتى القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، إلا إنه بسبب الانحطاط السياسى وتأخر البوذية أصبح الجنوب هو مركز الإصلاح الديني، ولأنه تمتع بفترة طويلة من الازدهار والقوة تحت حكم ملوك خولاس وفيجاياناجر، وأهم هذه الأسباب هى احتكاك الإسلام بالهند، وقد أكد كثير من الباحثين هذه التأثيرات، وأوضح تارشند الصلة بين تعاليم المدارس البكتية التي تأسست في هذه المنطقة وبين الإسلام وخاصة الصوفية.

وقد ظهر في الحياة الفكرية في جنوب الهند بوجه عام منذ القرن الثالث لاهجري / التاسع الميلادي وما يليه صفات معينة تشير إلى الأثر الإسلامى بوضوح، ومن أهم الأمثلة على ذلك: تزايد الدعوة إلى التوحيد، والعبادة العاطفية، وإخضاع النفس وتعظيم المعلم، والتساهل في تطبيق نظام الطبقات، وقلة الاكتراث بالطقوس وحدها. وانتقلت الحركة البهكتية من الجنوب إلى الشمال، وتأثر بها غالبية المصلحين الدينيين خلا عصري سلطنة دهلى وسلاطين المغول⁽³⁾.

ويظهر تأثير الإسلام واضحاً في تعاليم الحركة البهكتية التي نادت بها، فقد نادت بوحدانية الله والخضوع لمشيئة الله وإيثار الغير من خلال الحب وتكريس النفس لله والمجتمع⁽⁴⁾، وتبدو الصلة واضحة بين تعاليم الصوفية المسلمين والباكتى الهنود، حتى أنه

(1) إسماعيل العربى: الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص 53، 54.

(2) همايون كبير: المسلمون في الهند، ص 13: 15.

(3) سيد مقبول أحمد: العلاقات العربية الهندية، ص 46: 49.

(4) Beni Prasad, Indias Hindu-Muslim Questions, p. 17, 18.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

من يستمع لمواعظ دعاة الفريقين يتعجب أنه لا يوجد أى اختلاف بين العقيدتين، ويؤكدون أنها ديانة واحدة والأسماء المختلفة التى أعطيت لكلا الديانتين قامت بالتشويش على هذه الحقيقة⁽¹⁾.

وأدت الدعوة للتوحيد ورفع الحواجز الدينية والاجتماعية التى تعترض المنبوذين إلى اختصار العقيدة البكتية، وانتشر أتباع الحركة البكتية "بهكتى" من أمثال راماناندا و كبير و دادو ورامداس و ناناك و شيتانيا في أنحاء الهند يبشرون بوحدانية الله، وبالحرية في اختيار الدين، وظهر في أفكارهم تأثيراً شديداً بالإسلام.

والحركة البكتية هى إحدى المحاولات التوفيقية بين الإسلام والهندوسية⁽²⁾. وقد ظهرت في جنوب الهند بالتحديد في "تاميلاند" قبل شانكرا، وازدهرت خلال خمسة قرون (من القرن الخامس الهجري / الحادى عشر الميلادى حتى القرن الحادى عشر الهجري / السابع عشر الميلادى)، ويشغل راماناندا المرتبة الثانية بعد شانكرا في الديانة الهندية بوصفه شارحاً ومفسراً للفيدانتا، وقد نادى بأن الأرواح والله ليسا شيئاً واحداً، ولو أنهما غير منفصلين عن بعضهما تماماً، ويرى أن المثل الأعلى للإنسان هو حب الله وعبادته والاستسلام التام لقضائه وقدره، وتعرف فلسفته باسم "فيسستادفيتا" أى عدم الازدواجية المحدودة، لأنه يعترف بانفصال المادة عن الروح، وذلك عكس شانكرا الذى ينكر الازدواجية إنكاراً مطلقاً، أما كبير الذى عاش خلال الفترة (1440:1518 م) فقد أدان الأوثان ونظام المنبوذين ونادى بالحب، وكرر القول بأن الهندوس والمسلمين شيئاً واحداً، حيث أنهم يعبدون إله واحد، وهم من أصل واحد، وكلهم عيال الله، وقد لقيت عقيدته انتشاراً واسعاً بين المسلمين والهندوس معاً⁽³⁾.

وقد تأثرت الحركات الإصلاحية للهندوسية بالإسلام في تعاليمها، فقد استنكرت عبادة الأصنام، وأنكرت الكهنة، وأوصت بتزويج الأراذل، ومن أهمها مؤسسة "أريا سماج" التى أسسها "سوامى دايا نندا سارسواتى" في البنجاب في النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادى، وديانة السيخ التى أسسها "كوروناناك" الذى آمن بوحدانية الله، وحاول التوفيق بين الهندوسية والإسلام، ولذلك فمعتقدات المسلمين والسيخ الأساسية كبيرة الشبه ببعضها البعض⁽⁴⁾.

(1) Stanley Wolpert, India, p.51.

(2) مجهول: آثار الإسلام الثقافية في الهند، ثقافة الهند، ص 6.

(3) إسماعيل العربى: الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص 54، 55.

(4) مجهول: آثار الإسلام الثقافية في الهند، ثقافة الهند، ص 6.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

وللإسلام في الهند طابعاً خاصاً يختلف عنه في البلدان الإسلامية الأخرى، فمن دخل من الهنود في الإسلام ينظر إليه من خلال ما علق في رأسه من معتقداته وعاداته القديمة، وحق ما يقال إن الأمم وإن اتحدت ديناً فكل أمة يختلف نظرها في تفاصيل دينها عن الأمم الأخرى، وهى تنظر إلى الدين من خلال لغاتها وتقاليدها وثقافتها وتربيتها إلى غير ذلك، فنظرة الهنود المسلمين مثلاً تختلف عن المصريين المسلمين والأثراك المسلمين⁽¹⁾، وغالبية مسلمى الهند من الهندوس الذين اعتنقوا الإسلام، وهم يكونون مجموعات منفصلة يتزوجون داخلياً ولا يتزوجون مع الهندوس، وللكثير منهم وخاصة في القرى والمدن الصغيرة أقارب هندوكيين، ويعيش المسلمون والهندوس معاً ويعملون معاً ولا يفكرون إلا قليلاً في الخلاف الدينى⁽²⁾.

وقد احتفظ الهنود المسلمون ببعض عقائد الهندوكية، إذ أن التحول إلى الدين الإسلامى نادراً ما كان تحول أفراد بل كان دائماً تحول أسر أو مجموعات من الأسر جلبت معها عاداتها الاجتماعية الخاصة بالزواج والوراثة وغيرها، ويلاحظ هذا في الجماعات المسلمة الريفية التى تساوى بين الذكر والأنثى في الميراث⁽³⁾، وغالبية الهندوس الذين اعتنقوا الإسلام لم ينفصلوا عن إخوانهم من البراهمة بسبب إسلامهم، فقد ظل التقسيم الطبقي بينهم، كما تجمع أهم الشعائر الدينية بين أتباع هاتين الديانتين في الغالب، فنجد مسلمى كشمير رغم إسلامهم مبكراً منذ الفتح الإسلامى لها، إلا إنهم محافظون على نظام الطبقات، كما أن ديانة غالبية الشعوب الصغيرة من الرعاة والبدويين من سكان مناطق الهملايا مزيج من الإسلام والهندوسية ولا يزال بعضهم يعبد الأصنام القديمة والأفاعى⁽⁴⁾.

مظاهر تأثر التصوف الإسلامى بالفكر الهندى :

ظهرت المؤثرات الهندية بصورة محسوسة في التصوف الإسلامى في العصر الذى انتشر الإسلام فيه شرقاً وخاصة بعد فتح السند، فقد رأى البعض أن العرب تأثروا بالتصوف الذى كان شائعاً في الهند كما تأثروا بالفلسفة اليونانية، فالتصوف لم يظهر إلا بعد فتح السند

(1) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج1، ص365.

(2) مانوراما موداك: الهند شعبها وأرضها، ترجمة محمد عبد الفتاح إبراهيم، النهضة المصرية، 1964، ص117.

(3) محمد عبد المنعم الشراوى بك ومحمد محمود الصياد: ملامح الهند والباكستان، ط1، مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية، 1381هـ/ 1961م، ص152.

(4) جوستاف لوبون: حضارة الهند، ص113، 114، 126.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

واختلاطهم بأهلها ونقلهم علومهم⁽¹⁾، وقد ترجمت في القرن الثاني الهجري بعض المؤلفات البوذية مثل "بلوهر وبوذاسف"، و"البده" الذي يحوى عدة حكايات عن بوذا، وكتاب "بوذاسف مفرد" الذي يتضمن نصائح وإرشادات، وقد كان لأسطورة "ساكيا موتى جوتم" البوذية أثرها في التصوف الإسلامى⁽²⁾، وقد أصبحت الأفكار الهندية موضع الحس والتجربة من ملاحظة الرهبان الرحل الهنود الذين وصلوا الشام في العصر الأموى، وكانوا على كذب من المسلمين في العراق في العصر العباسى الأول⁽³⁾.

وقد ظهر التأثير الثقافى الهندى بصورة قوية في عقائد الصوفية المسلمين ومذاهبهم، فقد بدأ التصوف الإسلامى حركة بسيطة كرد فعل فردى لتطور المجتمع الإسلامى في اتجاه ماضى عقب الفتوحات، ثم تطور إلى نظرية (حب الله حباً مجرداً) الذى تمثل في رابعة العدوية (99: 185هـ/717: 801 م)، ثم خطى خطوة جديدة بنظرية (المعرفة) التى أعلنها ذو النون المصرى (ت 247هـ/861 م)، ثم تطور لنظرية (الفناء) التى نادى بها أبو يزيد البسطامى (ت 262هـ/875 م)، والتى تساوى مبدأ الاعتراف بوحدة الوجود الذى هو من المبادئ الأساسية في الفلسفة الهندية "النيرفانا"، مما يمثل انحرافاً خطيراً عن مبادئ الإسلام الحنيف⁽⁴⁾. ومبدأ وحدة الوجود أو الاتحاد العام مؤداه اتصال الإله بالكون اتصالاً وثيقاً، واتحاده به لدرجة يصح معها أن يقال إن العالم هو الإله، والإله هو العالم، فكل جزء من أجزاء العالم يعد من مظاهر الإله⁽⁵⁾، وقد صاغ الحلاج (ت 311هـ/923 م) من فكرة الفناء نظرية متكاملة بلغت أوجها بتصريجه بأنه "ما في الجبة إلا الله"، ولم يكدها يجل القرن السادس الهجرى الذى صادف بداية الركود الفكرى، حتى تمت للتصوف السيطرة على جميع مدارس الفكر الإسلامى، وذلك بفضل اثنان هما محى الدين ابن عربى (560: 683هـ/1164:

(1) مير ولى خان المسعودى: بايزيد الأنصارى (4) مذهبه في التصوف، مجلة الدراسات الإسلامية، بإسلام آباد، رمضان 1390هـ / ديسمبر 1970م، مج5، ع4، ص8.

(2) تاراتشند: العلاقات الهندية العربية قوية منذ فجر التاريخ، ثقافة الهند، مج14، ع2، إبريل 1963، ص9، 10.

(3) جولدتسيهر، أجناس: العقيدة والشريعة في الإسلام، نقله إلى العربية محمد يوسف موسى وعلى حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق، ط2، مصر، دار الكتب الحديثة، بغداد، مكتبة المثنى، 1378هـ/1959م، ص158، 159.

(4) إسماعيل العربى: الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص93.

(5) حامد عبد القادر: بوذا الأكبر حياته وفلسفته، نهضة مصر، (د.ت)، ص156.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

1284 م) الذى شكلت نظرية وحدة الوجود محوراً رئيسياً في فلسفته، وأبو حامد الغزالي (450: 505هـ / 1058: 1111م) الذى حاول بالبراهين العقلية التوفيق بين الإسلام السلفى والتصوف⁽¹⁾، ومثل الغزالي الذى ترك مكانته المرموقة في المدرسة النظامية، وترك متاع الدنيا سعياً وراء البحث عن حقيقة اليقين كمثل بوذا الذى ترك ملكه، وتجول كدرويش سعياً وراء السكينة الروحية، وهذا ما يمثل عند الصوفية التجربة الوجدانية والمعرفة المباشرة التى يغمر الله بها قلوب المؤمنين⁽²⁾.

ومن أهم أئمة الصوفية الذين تأثروا بسيرة بوذا إبراهيم بن أدهم (توفى بين سنتي 160-162هـ/776-778م)، وقد كان ابن ملك من ملوك بلخ، ولكنه ترك قصره وأهله، وعاش عابداً سائحاً في الصحراء، واختلفت الروايات في ذكر بواعث اعتزاله، ولكن باعث منهم يلفت النظر ذكره جلال الدين الرومى، وهو أن حراس قصر إبراهيم بن أدهم سمعوا ذات ليلة جلبة فوق سطح القصر، فوجدوا قوم يبحثون عن أبلهم الضالة، فاقْتيدوا إلى الأمير، الذى تعجب من فعلهم، فأجابوه "نحن لا نعمل إلا اقتداء بك أنت الذى تسعى إلى الاتحاد بالله، بينما أنت جالس على عرشك، فهل لرجل في مثل هذا المقام يستطيع أن يتقرب من الله؟"، فهرب الأمير من قصره⁽³⁾، ولذلك وصف الجنيد إبراهيم بن أدهم أنه "مفتاح التصوف". ولا ريب أن إبراهيم بن أدهم تأثر بقصة بوذا، فقد كانت بلخ مركز إشعاع للبوذية قبل الإسلام، وكانت مسرحاً هاماً لنشاط الرهبان البوذيين، الذين كانوا يتجولون في شرق إيران وآسيا الوسطى دون أى عوائق، بل تدل الوثائق على وصولهم إلى بغداد في عهد الخلافة العباسية، وعن طريقهم دخلت الكثير من القصص والأساطير البوذية إلى الإسلام⁽⁴⁾.

(1) إسماعيل العربى: المرجع نفسه، ص 94.

(2) الخواجه غلام السبدين: الغزالي، خطاب أعده الأستاذ غلام السبدين مندوب الهند لمهرجان الغزالي الذى أقامه المجلس العلى لرعاية الفنون والعلوم الاجتماعية بدمشق تكريماً للذكرى المئوية التاسعة لميلاده، ثقافة الهند، مج 12، ع 4، أكتوبر 1961، ص 26، 27.

(3) جولدتسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص 161.

(4) إسماعيل العربى: الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص 99، 100.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

وفكرة "وحدة الوجود" هندوسية بحتة، وهى أول عقيدة هندوسية يتأثر بها المسلمون، وقد تسربت من قبل إلى اليهودية والمسيحية، وقد جاء في "ويدانت" "هذا الكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقى الأساسى، وأن الشمس والقمر وجميع جهات العالم وجميع أرواح الموجودات أجزاء ومظاهر لذلك الوجود المحيط المطلق، إن الحياة كلها أشكال لتلك القوة الوحيدة الأصلية، وأن الجبال والبحار والأنهار تنفجر من ذلك الروح المحيط الذى يستقر في سائر الأشياء"⁽¹⁾.

وفكرة الفناء كثيرة الشيوخ في كلام الصوفية، وهى على درجات وذات مظاهر، فالمظهر الأول تغير أخلاقى في الروح تنحل معه الرغبات والشهوات، والثانى انصراف الذهن عن كل الموجودات إلى التفكير في الله، فالمظهر الأول نفسى والثانى عقل، ثم انعدام كل تفكير إرادى، والتفكير في الله من غير وعى، وآخر درجاته انعدام النفس بالبقاء مع الله، ويصف السرى السقطى من وصل إلى هذه الحالة بقوله: "أنه لو ضُرب بسيف على وجهه لما شعر به"⁽²⁾.

فكرة الفناء التى تحققت من خلالها فكرة خلاص النفس "النيرفانا" يمكن تشبيهها ليس فقط بأهداف أبى يزيد البسطامى ولكن بأهداف المحاسبى والجنيد⁽³⁾، وأبو يزيد (بايزيد) طيفور بن عيسى بن سروشان البسطامى من أشهر الصوفية المسلمين، قضى غالبية حياته في بسطام، من أعمال قومس قرب نيسابور. توفى سنة 261هـ / 874م أو سنة 264هـ / 877-878 م، وقد عمل على مجاهدة نفسه مجاهدة دائبة حتى يجررها من جميع الحجب التى تحول بينه وبين الوصول إلى الله، حتى خرج آخر الأمر من أنيته بالفناء، وعبر عن هذا المقام بشطحاته التى أثارت عليه معاصريه مثل: "سبحانى ما أعظم شأنى"، "أنا العرش والكرسى"، "طاعتك يا رب أعظم من طاعتى لك"، وكان شيخ أبى يزيد في التصوف هو أبو على السندى الذى كان بوذياً قبل اعتناقه الإسلام، وكان جاهلاً بالعربية، فلم يجد أبو يزيد بداً

(1) محمد يوسف النجرامى: العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية، ص 147.

(2) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج 4، ط 3، النهضة المصرية، (د.ت)، ص 155.

(3) Saiyid Athar Abbas Rizivi, A History of Sufism in India, vol. 1, p. 323.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

من أن يلقيه من آيات القرآن ما يقيمها فرضه، وجازاه السندی على ذلك بإرشاده إلى التوحيد، ولا يبعد أن تكون بعض المؤثرات الهندية قد أثرت في أبي يزيد عن طريق شيخه هذا⁽¹⁾، فبعض التعبيرات التي يستعملها أبو يزيد مثل "تكون أنت ذاك"، قد أمكن تتبعها إلى أصلها، ووجد أنها تستعمل حرفياً بالسنسكريتية في كتاب "الفيدانتا" بالإشارة إلى براهما باعتباره "الحقيقة المطلقة".

كما تتبع بعض الباحثين الهنود الشعار الذي كان الحلاج (ت 309هـ/921م) أول من نادى به، وهو قوله "أنا الحق"، فوجد أنه ترجمة حرفية لشعار في فلسفة "الفيدانتا"، ونصه بالسنسكريتية "أهام براهما سمي⁽²⁾"، وإن لم تتوفر معلومات عن مدى تأثر أفكار الحلاج عن الروح بعد زيارته للسند إلا أن الشيخ علاء الدولة السيمنانى لم يكن لديه ريب عن تأثير رحلات الحلاج على فلسفته⁽³⁾، والحلاج هو الحسين بن منصور أبو المغيث ويقال له أبو عبد الله، كان جده مجوسياً من أهل فارس من بلدة البيضاء، نشأ بواسط ويقال بتستر ثم دخل بغداد ثم جاور بمكة، وصحب مشايخ الصوفية كالجنيد بن محمد وعمر بن عثمان المكي وأبو الحسين النورى، وسلك طريق التصوف، وقد اختلف الصوفية في أمره وأكثرهم منكرون له. وقد تجول في البلدان يدعو إلى الله عز وجل، ودخل الهند وتعلم بها فلسفاتهما، وكان أهل الهند الذين استجابوا لدعوته يكتبوه، ويلقبوه بالمغيث أى أنه من رجال الغيث⁽⁴⁾، وقد ذكر بعض أصحابه أنه صحبه من مكة إلى الهند ليتعلم السحر هناك، وقد استطاع بما تعلمه من الشعوذة أن يؤثر على عقول العامة الذين مالوا إلى مذهبه المغرق في الغلو، والذي خالف فيه تعاليم الإسلام بما دعا إليه من ترك العبادات، وإدعاء الإلهوية، وحلول اللاهوت في

(1) ريتز: أبو يزيد (بايزيد) طيفور بن عيسى بن سروشان البسطامى، دائرة المعارف الإسلامية، مج2، ص30، 31.

(2) إسماعيل العربى: الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص96.

(3) Saiyid Athar Abbas Rizivi, OP. Cit, vol. 1, p. 323.

(4) ابن كثير: البداية والنهاية، مج6، ج11، ص132، 133.

الإنسان، وروى أنه قال: ما في الجبة غير الله، كما روى عنه أنه قال: أنا الحق، وكان يتغنى بقوله:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرته أبصرتني وإذا أبصرته أبصرتنا

وقد انتهى أمره بالتعذيب والقتل نتيجة آرائه في خلافة المقتدر بالله (320295هـ/907-932م)، وقد انتشر دعواته في كثير من الأمصار الإسلامية لنشر مذهبه، وقد اتبع في ذلك طريقة دعاة الإسماعيلية⁽¹⁾، فقد وُجد في الكتب التي كان يرسلها لدعاته في مختلف البلدان الإسلامية وصيته إياهم بما يدعون إليه الناس، وبما يأمرهم به من نقلهم من مرتبة إلى مرتبة حتى يبلغوا الغاية القصوى، وأن يخاطبوا كل قوم على حسب عقولهم وعلى قدر استجابتهم⁽²⁾.

وقد اتجه كثير من الصوفية على نسق الحلاج إلى الهند للتزود من معين فلسفتها وعقائدها التي تسربت إلى التصوف، وإن لم يرد ذكر كثير منهم لعدم شهرتهم، ومن هؤلاء أحد الزهاد الذي ذكره المقدسى عرضاً في كتابه "أحسن التقاسيم"، وقد اعتمد عليه في وصفه لنواحي السند لإقامته فترة في تلك البلاد، ويدل ذهابه للهند وإقامته الطويلة بها أنه ذهب للاستفادة من فلسفتها في التصوف، ولنشر الإسلام في تلك البقاع، ووصفه المقدسى أنه من أهل العلم والحكمة، وكان له مجلساً للعلم بشيراز والأهواز⁽³⁾.

والقائلون بوحدة الوجود هم أكثر الناس تسامحاً تجاه الأديان الأخرى، فالاختلاف بين الأديان إنما هو اختلاف في المظاهر، أما في الحقيقة والجوهر فكل يسلك طريقاً إلى الله، فالغاية

(1) حسن إبراهيم حسن: التاريخ السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الثاني، ط13، بيروت، دار الجليل، 1991، ص ص234:236.

(2) أبي على أحمد بن محمد (مسكويه): تجارب الأمم، ج1، مصر، شركة التمدن الصناعية، 1332هـ/1924م، ص79.

(3) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص377.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

واحدة وهى حب إله واحد، ولا يهيم الاختلاف في الوسائل، وقد وجد هذا المعنى في كثير من أشعارهم، ولذلك فهم أكثر ترحيباً بالأديان المختلفة⁽¹⁾، كما أن التسامح في البيئة الهندية عريق، وهو يتمثل في لادينية الهند. ومن أراد أن يسلك سبيل معرفة النفس يتحتم عليه أن يدرّب نفسه بهذه الفضيلة، ومن هنا تصرّ مناهج التصوف ومدارس الفلسفة الهندية على التسامح مع الآخرين وسكينة النفس⁽²⁾، وقد نظمت تعاليم النساك من الهنادكة والصوفية المسلمين الحياة الدينية والثقافية والأدبية والفنية للهند، وتتميز هذه التعاليم بعدم مبالاها بطرق العبادة الشرعية، وتنادى بالمساواة الكاملة بين جميع أجناس البشر، والخضوع لمشيئة الله تماماً، ولذلك فهى تعتبر التفانى في العبادة وخدمة البشرية هى الطريقة المثلى للنجاة⁽³⁾.

وكان لتقديم الصوفية العقيدة الإسلامية الخاصة بوحدة الوجود إلى الهندوس على صورة "وحدة وجود الله" أحد العوامل التى جذبتهم للإسلام، لأن لها شبيهاً بفلسفتهم المسماة "الفيدانتا"⁽⁴⁾، و"الجيتا" التى هى عقيدتهم الرئيسية، وقد أكد الصوفية على حقيقة الإيمان أكثر من العمل كطريق للنعيم الأبدى في الجنة، ووجد بعض الهندوس أن كلمات الدعاة الصوفية تجذبهم بصورة لا تختلف عن الصلوات الخاصة بعقيدتهم بل إنها أكثر تشويقاً. كما انجذبوا لتطبيق الصوفية لديموقراطية الإسلام وتحديدهم لجميع العقبات الطبقية بين الهندوس، وبالفعل نجحوا في كسب مولاة هذه الطبقات المضطهدة⁽⁵⁾.

ولم يتعصب الصوفية لمذهب معين مما ساعد على سرعة تقائهم مع الأفكار الصوفية الهندية وعدم تعصبهم ضدها، ولعل هذه الساحة هى التى جذبت الكثير من الهندوس للإسلام أكثر من دخولهم عن طريق الفتوحات⁽⁶⁾.

(1) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج4، ص164، 165.

(2) سردار إقبال على شاه: التصوف والفلسفات الهندية، ثقافة الهند، يوليو 1963، مج14، ع3، ص50.

(3) راما كرشنا راؤ: هيكل الثقافة الهندية، ثقافة الهند، إبريل، 1961، مج12، ع2، ص53.

(4) طلعت محمد أبو فرحة: أضواء على الدور الحضارى لباكستان حتى القرن التاسع الهجرى، ص192.

(5) Stanley Wolpert, India, p. 51.

(6) عادل رستم: مظاهر الحضارة الإسلامية في عصر سلطنة دهلي، ص480.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

وكان الصوفية المسلمون موضع حب واحترام الهنود مما قد يصل إلى العشق والتقديس، وخاصة من المتصوفة الهنود، فيذكر بزرك بن شهريار أن "البيكور" يحبون المسلمين ويميلون إليهم ميلاً شديداً، وهم صنف من زهاد الهنود أصلهم من جزيرة سيلان، يعيشون حفاة عراة في الصيف، لا يستترون إلا بخرقة شديدة القصر في الصيف، ويتشحون بالحصر في الشتاء، ويلوثون أبدانهم برماد عظام الموتى الذين احرقوا، ويأكلون ويشربون في قحف رأس إنسان على سبيل الاتعاظ⁽¹⁾، وتأثر غالبية المصلحون الهنودوس الدينين بأفكار الصوفية المسلمين وتصرفاتهم، مثل الذكر والقطب والمرشد والفقر، والتعبد العميق، والحب والإخلاص للغير، وغير ذلك من الأفكار التي يمكن تتبعها في أفكار هؤلاء المصلحين وأعمالهم⁽²⁾.

وكان البيروني مولعاً بالتصوف، ويعمل على نشر تعاليمه في البلاد التي يقوم فيها بأسفاره ومنها الهند، وقد عمل على ربط الفلسفة الهندية بالتصوف⁽³⁾، وأطال البيروني في وصف الفلسفة الدينية للهند، وقارن بين عقائد الهند والإسلام والصوفية والنصرانية والفلسفة اليونانية، وقد نقل إلى العربية كتابين أحدهما في المبادئ وصفة الموجودات، واسمه "سانك"، والآخر في تخليص النفس من رباط البدن، ويعرف "باتنجل"، وفيها غالبية أصول الديانة الهندية⁽⁴⁾، وباتنجل هو اسم مؤلف هندي، ألف كتاب "جوكا سوترا"، وجوكا نوع من التصوف عندهم يصل به أهله إلى تلك الأعمال العجيبة من رفع البدن إلى الهواء، وتحريك الأشياء البعيدة، والدفن تحت الأرض وغير ذلك، ومقصدهم من ذلك تخليص النفس من رباط البدن، ويشبه ذلك مذاهب التصوف الإسلامي، إلا أن الاختلاف في الأصل كبير، فغرض الصوفي من ذلك الفناء في الله، أما غرض ممارسي الجوكا تسكين الحواس، والتخلص من العالم الخارجي ومن أدوار التناسخ، وقد شرح البيروني مذهب التناسخ عندهم "هؤلاء قوم لا تخلو أفاويلهم في نحلتهن عن قضايا التناسخ وبلايا الحلول

(1) بزرك بن شهريار: عجائب الهند، ص 155.

(2) سيد مقبول أحمد: العلاقات العربية الهندية، ص 49.

(3) محمد أبي صلاح: البيروني يسيح في الهند، ص 37.

(4) البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، ص 16.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

والاتحاد والتولد، لا على حكم الولادة، ولذلك إذا سمعت أفاويلهم يُراح منها روائح مركبة من عقائد قدماء اليونانيين وفرص النصرارى، وأئمة الصوفية... "، وتقوم نظرية التناسخ على أن النفس عالقة بالأجساد تتقل بينها بين الخير والشر، لا تتحرر منه إلى البقاء الدائم إلا إذا بلغت أقصى درجات الاجتهاد⁽¹⁾، ويذكر البيرونى أن هذا المعنى ذهب له بعض الصوفية، حيث أجازوا حلول الحق في الأمكنة: كالسما والعرش والكرسى، ومنهم من يجيزه في جميع العالم والحيوان والشجر والجما، ويعبر عن ذلك بالظهور الكلى، وهم بذلك يجيزون حلول الأرواح⁽²⁾.

وهناك تشابه كبير بين المبادئ الأساسية للجينية والتصوف الإسلامى، فبنيت الجينية على الزهد والتكشف في الحياة، وعمادها الرياضات المتعبة والمراقبة الذهنية الشاقة، وقد وضعوا السبيل المثلث للتطهر من البواعث الخارجية والفوز الدائم، وهى الاعتقاد الصحيح والعلم الصحيح بحقائق الكون والخلق الصحيح، فإذا اكتمل هذا المثلث فقد نجا صاحبهم من تقلبات الحياة وتخلص من أدران المادة ويصل لدرجة من السمو والصفاء يشعر معها بلذة روحية دائمة لا يشعر بها أهل الدنيا، وهذا يشبه تماماً ما أثر عن بعض أقطاب التصوف: إن الملوك لو عرفوا ما نحن فيه من لذة وطمأنينة لقاتلونا في سبيل ذلك⁽³⁾.

ومظاهر تأثير الديانات الهندية في تفصيلات التصوف الإسلامى عميقاً، فالوصول إلى البراهما عند الجوكيين الهنود يمر بمرحلتين: السمبراكناتا أى تركيز الخواطر فى شئ واحد، و"الاسمبراكناتا" أى التجاوز عن صور الذات، والغوص فى فكر الذات الإلهية، والمرحلة الأولى: تسمى عند الصوفية المسلمين بمرحلة جمع الخواطر، أما المرحلة الثانية: فتسمى بالمراقبة، وإلى جانب ذلك فإن الجانب الأخلاقى الخاص بعقيدة "قتل النفس" عند الجوكيين

(1) ا. ه. ريتز: كتاب باتانجل لأبى الريحان البيرونى، مقال ضمن كتاب: المنتقى من دراسات المستشرقين، دراسات مختلفة جمعها ونقلها إلى العربية صلاح الدين المنجد، ج1، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1955، ص ص64:67.

(2) البيرونى: الفلسفة الهندية مع مقارنة بفلسفة اليونان والتصوف الإسلامى، راجعه وقدم له عبد الحليم محمود، عثمان عبد المنعم يوسف، مصر، مطبعة أحمد على مخيمر، 1959، ص58.

(3) محى الدين الألوائى: الفلسفة "الجينية"، ثقافة الهند، أكتوبر 1960، مج12، ع4، ص12، 22، 23.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

الهنود والصوفية المسلمين واحد، فقد جاء في "الراج ويدا": "أن الذي يسلك طريق السلام والصدق والوفاء والصفاء، ويكسب جمع خاطره، ويفكر في براهما صباح مساء، يوفق في التخلص من النفس اللثيمة والتضحية بها، ويستطيع أن يقاوم الموت"، ومن هنا جاءت فكرة الموت قبل الموت عند الصوفية المسلمين، وقد تكررت هذه الفكرة كثيراً عند الشاعر سنائي الغزنوي (465-535هـ / 1072-1140م)⁽¹⁾.

وهناك تشابه بين التصوف والفلسفة الهندية في كيفية الخلاص من الدنيا، وما ذكره البيروني في ذلك نقلاً عن صاحب كتاب باتنجل: "إفراد الفكرة في وحدانية الله يشغل المرء بالشعور بشيء غير ما اشتغل به ومن أراد الله أراد الخير لكافة الخلق من غير استثناء واحد بسبب، ومن اشتغل بنفسه عما سواها لم يصنع نفساً مجذوباً ولا مرسلأً ومن بلغ هذه الغاية غلبت قوته النفسية على قوته البدنية..."، وذلك مثل إشارات الصوفية في العارف إذا وصل إلى مقام المعرفة، فإنهم يزعمون أنه يحصل له روحان: قديمة لا يجري عليها تغير واختلاف، وبها يعرف الغيب ويفعل المعجز، وأخرى بشرية للتغيير والتكوين⁽²⁾.

وفي حالة التمكن من الخلاص يذكر كتاب باتنجل إن الروح تصبح حرة عن الجسد، يمكنها التنقل حيث تحب ومتى أرادت، ويذهب الصوفية إلى قريب من هذا، فقد حكى في بعض كتبهم عن بعضهم أن بعض الصوفية وردوا عليهم، فصلى أحدهم، ثم سأل عن موضع يصلح للموت فيه، فظنوه يريد النوم وأشاروا له إلى موضع، فتوجه إليه وتمدد فيه وسكن، فوجدوه ميتاً، وقالوا في معنى قول الله تعالى ﴿إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾⁽³⁾، أنه إن شاء طويت له، وإن شاء مشى على الماء، ولا تقاومه الجبال⁽⁴⁾.

(1) إبراهيم الدسوقي شتا: دور المتصوفة الإيرانيين في ميدان التصوف الإسلامي وسياحتهم في مصر، مقال ضمن كتاب: جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وإيران، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1975، ص 266، 267.

(2) البيروني: الفلسفة الهندية، ص 66، 67.

(3) الكهف / 84.

(4) البيروني: الفلسفة الهندية، ص 76، 77.

كما أن الحالة الناشئة عن "نيرفانا" بوذا تشبه كثيراً حالة الفناء عند الصوفية المسلمين، وبدرجة الفناء هذه يستطيع الصوفي أن يقوم بكثير من الخوارق كأن يصوم طويلاً، أو أن يشرب السم دون أن يصيبه أذى إلى غير ذلك من الحالات التي رويت عن جوكية الهنود والصوفية المسلمين على السواء⁽¹⁾، فاليوجي الجيد يستطيع أن ينقل جسده طبقاً لرغبته، وبذلك يتحرر من الأمراض والموت⁽²⁾.

وإن كان هناك اختلافاً أساسياً بين النيرفانا والفناء الصوفي، فالفناء في التصوف الإسلامي ينتهي إلى بقاء، إذ أن الصوفي يفنى في الله بإدامة التفكير فيه وفي صفاته، ليدرك معنى وجوده وحقيقة نفسه، ويعرف الله ويدرك الحقائق القدسية بطريق الكشف، والصوفي في كل ذلك في حالة من الوجد والانشراح، أما النيرفانا فتقوم على أساس الفناء واندماج الروح الجزئية في عالم الأرواح⁽³⁾، وتنسب أقوال إلى أبي زيد البسطامي توضح مذهب الفناء، قال أبو زيد "للخلق أحوال ولا حال للعارف لأنه محيت رسومه وفنيت هويته وغيب آثاره بآثار غيره"، ولما سئل عن كيفية وصوله إلى تلك الحالة أجاب "خرجت من بايزيديتي (أى نفسى) كما تخرج الحية من جلدها ونظرت فإذا العاشق والمعشوق والعشق واحد في عالم التوحيد، ثم نظرت إلى ذاتي فإذا أنا هو (أى الله)"، وفي مقارنة نيكلسون فكرة الفناء الصوفية بالنيرفانا الهندية يبدى ملاحظة "أن الحدين يعينان انعدام الفردية لكن بينما نجد أن النيرفانا هي سلبية بحتة فإن الفناء يرافقه البقاء أى الحياة الأبدية في الله⁽⁴⁾".

ولاحظ الباحث الهندي الأستاذ سينجال أن كثيراً من الممارسات الصوفية يوجد ما يقابلها في طقوس الديانة الهندية، فالتمارين الجسدية يشبه معظمها تمارين "اليوجا"، وحلقات الذكر التي يعقدها الأخوان معروفة عند بعض الفرق الهندية، أما شيخ الطريقة والمريد

(1) إبراهيم الدسوقي شتا: دور المتصوفة الإيرانيين في ميدان التصوف الإسلامي وسياحتهم في مصر، ص 267

(2) Saiyid Athar Abbas Rizivi, A History of Sufism in India, vol. 1, p.334.

(3) حامد عبد القادر: بوذا الأكبر حياته وفلسفته، ص 159.

(4) البيروني: تحقيق ما للهند، ص 62. سيد مقبول أحمد: العلاقات العربية الهندية، ص 42.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

فيمثلها ما يسمى في الديانة الهندية "جاسبا" Jaspā⁽¹⁾، فوظيفة المعلم أن يعد التلميذ لمعرفة نفسه، فرجال مدارس التصوف والفلسفات الهندية يلزمون التلميذ أن يعرف المذهب على ما هو في الواقع ثم يعلم هل له أن يعتقد فيه أم لا، فكانت تعاليم بوذا تجعل الطالب أولاً متعرفاً بنفسه حتى يستطيع أن يتمكن منها⁽²⁾، ومعرفة النفس جزء مهم للفلسفة الهندية والتصوف الإسلامي، ويعبر عنها في اللغة السنسكريتية بكلمة "جانانا" أى العرفان، وبالجملة المأثورة بالعربية "من عرف نفسه فقد عرف ربه"، فلا يتسنى الوصول للحقيقة النهائية إلا بمعرفة النفس⁽³⁾.

وأما السبحة فهي اختراع هندي، اخترعه البراهمة، وهي تسمى بالسنسكريتية "جب مالا" معناها "عقد الذكر"، وانتشر استعمالها بين رهبان البراهمة والبوذية، وأخذ رهبان النصرانية استعمالها منهم. ولم يعرف المسلمون استعمالها عند ظهور الإسلام، وكانوا يعدون أذكاهم إما بواسطة الأنامل أو الحصى أو نواة البلح أو الأشجار أو الخيوط المعقودة، وبدأ استعمالها يظهر بين المسلمين في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، فقد وردت في شعر أبي نواس:

المساييح في ذراعى والمصحف فى لبتى مكان القلادة

وهو أقدم ذكر للسبحة في الشعر العربي، ويبدو أنها كانت في البداية شائعة بين العامة من مدعى الصلاح، فلم يحز استعمالها تقدير الصوفية المخلصين، ولذلك كان استخدام الحسن البصرى والجنيد لها يثير الدهشة، وقد أصبح استخدامها في القرن الخامس الهجرى من اختصاص النساء الصوفيات⁽⁴⁾.

(1) إسماعيل العربى: الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص 99.

(2) البروفسور سردار اقبال على شاه: التصوف والفلسفات الهندية، ثقافة الهند، يوليو 1963، مج 1، ع 3، ص 44

(3) البروفسور سردار اقبال على شاه: المرجع نفسه، ص 43.

(4) الأستاذ السيد أبى النصر أحمد الحسينى: مساهمة الهند في تحقيق مآرب الإنسان الاقتصادية، ثقافة الهند، سبتمبر 1955، مج 6، ع 3، ص 24:29.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

وهكذا ذهب كثير من المستشرقين إلى تأثير التصوف الإسلامي بعناصر بوذية ونصرانية وفلسفة يونانية، وإن اختلفوا في مقدار العناصر التي تسربت منهم للتصوف، وقد رد د. أحمد أمين على ذلك أنه لا يعنى وجود فكرة في إحدى الأمم ثم وجودها لدى المتصوفة أنهم أخذوها منهم، فلا يعنى وجود فكرة الفناء في البوذية ثم وجدوها لدى الصوفية أنهم أخذوها منهم، فهذا رأى فيه كثير من الشك، فأول من تكلم في الحب الإلهي رابعة العدوية، وهى امرأة عربية، لم يثبت أنها تثقفت بثقافة أجنبية، كما أن عقول الناس في العالم متحدة، ولذا فهى تنتج نتائج متحدة لسيورها على قوانين منطقية واحدة، أما عواطف الناس فمختلفة، ومع ذلك لما اتحد الصوفية في طريقة رياضة النفس والمجاهدة والأخذ عن المشايخ تقاربوا في النتائج، ولذلك لا نستطيع الجزم بتسرب عناصر أجنبية إلى التصوف الإسلامي⁽¹⁾، وقد عرض فريتز ماير لهذه الفكرة بقوله "إن الظواهر التي يمكن إرجاعها إلى وحدة الطبيعة البشرية تشتمل دون ريب على أشكال معينة من الرياضيات كالذكر"، فهو يرى أن الصوفية الهنود أو الصوفية المسلمين أو رهبان المسيحية في العهد الأول إنما يشتركون في ظواهر معينة، "فكثير من التجارب الصوفية هي من نوع الظواهر النموذجية الأساسية"، والدليل على ذلك اتفاق تيار التصوف الإسلامي في الهند مع مصر مع سائر بلاد العالم الإسلامي⁽²⁾.

وذهب فريق من المستشرقين أن التصوف الإسلامي ظاهرة سنوية نشأت في أحضان الإسلام، وصدرت عن أسس إسلامية، وإن لم يمنع ذلك من تأثرها خلال رحلتها الطويلة بمؤثرات خارجية، كان لها أثراً ملحوظاً في صبغه ببعض الألوان الجديدة مع بقاءه محتفظاً بأصوله الأولى، ومن نحى هذا المنحى ماسينيون، الذى رأى أن التصوف معلم أصيل من معالم الإسلام. ولذا فقد اعتمد الصوفية المسلمون على القرآن الكريم والسنة النبوية في بناء فكرهم الصوفي. فيقول الجنيد "مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة"، ويذكر سنائي الغزنوى في حديثه ما ترجمته "إننى جمعت في هذا الكتاب ما جاء في القرآن والسنة وأقوال

(1) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج4، ص157، 158.

(2) فريتز ماير: طرائق معالجة البحث، فصل في كتاب الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، تحرير جى.

ئى. كرونباوم، بغداد، دار المنتبى، 1966، ص63، 64.

تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجريين

المشايخ... وإن من يعرف قدر هذا الكتاب يعظمه كتعظيمه للقرآن، لأنه ملئ بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية"، وغير ذلك كثير من أقوال مشايخ الصوفية التي تدل على تمسكهم بالكتاب والسنة⁽¹⁾، وكما يظهر ذلك في حرصهم على تعلم العلوم الدينية قبل الاتجاه للتصوف، وقد استدل د. إسعاد قنديل على تعلم الهجویری للقرآن الكريم قراءة وتفسيراً من كثرة استعماله للآيات القرآنية التي بلغت 236 آية، استعمالاً عميقاً يدل على فهمه، كما استعمل 138 حديث، وشرح كثيراً منها، وترجم بعضهم للفارسية، وقد درس الهجویری الفقه على مذهب أبي حنيفة، وصرح في ترجمته أنه من معتنقى هذا المذهب.⁽²⁾ وما قيل أن انشغال الناس بالتصوف من أسباب ضعف الحديث في الهند في الفترة من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجري غير صحيح، فالسبب الحقيقي لذلك انشغال الناس بزخرف العيش.⁽³⁾ وقلة وفود علماء الحديث للهند في هذه الفترة.

(1) يوسف عبد الفتاح فرج: مصادر عربية وإسلامية للتصوف عند الفرس، مجلة الدراسات الشرقية، إصدار قسم اللغات الشرقية كلية الآداب جامعة المنصورة، عدد خاص 1999/4/27، ع23، ص112، 113.

(2) الهجویری: كشف المحجوب، ص56، 57.

(3) عادل محمد نجيب رستم: مظاهر الحضارة الإسلامية في عصر سلطنة دهلي، ص478.

obeyikan.com